أديان العرب في الجاهلية

تأليف



القاضي بالمحاكم الشرعية

(الطبعة الاولى)

(١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

أديان العرب في الجاهلية

تأليف

محمد نعمان الجارم

القاضي بالمحاكم الشرعية

﴿ الطبعة الاولى ﴾

١٣٤١ هـ – ١٩٢٣ م

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

اهداء الكتاب

الى خدن الشباب ومن أراه	أحب الىّ من عهد الشباب
ومن لبس المحامد سابغات	وحل من الفضيلة فى اللباب
ومن يولى الصديق الود صفوا	كأن نميره ماء السحاب
لمن يخشى الأله ويتقيه	ويرجو عنده حسن الثواب
الى خير الصحاب ولست اغلو	اذا سميته خير الصحاب
الى الخل الوفى الى (الودينى)	سديد القول ذى الرأى الصواب
لمن تزهى بمدحته القوافى	(لاحمد عارف) اهدى كتابى

محمد نعمان الجارم

A 2



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تقدست ذاته وتعالت اسماؤه وصفاته والشكر له عز فضله وتوالت آلاؤه استوجب سبحانه وتعالى الحمد الجزيل لجميل ذاته واستحق جل جلاله عظيم الثناء لسنى صفاته وجب أن تذل الجباه لذاته لانه مصدر الموجودات وحق أن تعنو الوجوه اليه وتخصه بالعبادة لانه فاطر الأرض والسموات لا معبود بحق سواه قل لو كان فيهما آلهة الا الله ارسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فبين مناهجه ووضح طرائقه ووضع له الصوى (١) والأعلام حتى لا تعشى أمته من بعده فى ظلام فعليه أفضل الصلاة وازكى السلام وعلى آله واصحابه منار الاسلام (وبعد) فهذا كتاب اسهبت فيه القول على أديان العرب قبل الاسلام وبينت فيه ما ابتدعوا من جهالة وأوهام حتى تغير دين الهدى وطمس الطريق اليه وخفى الحق وعز الطالب له ونشأ بعد المختلقين قبيل عاشوا فى ظلمات بعضها فوق بعض فلم يدركوا نور الهدى ولم يشوقهم مشوق اليه ثم طمست ظلمة الضلالة عقولهم فأعرضوا عن الحق حتى مع وجود الدال عليه اللهم الا بعض أفراد لمحوا نور الاهتداء ولم يقيد فكرهم تعليم الأمهات ولا تقليد الآباء فتركوا للفكر العنان حتى ظهر لهم الحق بالدليل والبرهان وتجلت لهم الحقيقة تجلى الشمس فى وسط النهار فاختل صرح الكفر لديهم وانهار وهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتابى (العرب فى الجاهلية) يرشدك الى معتقدات العرب فى الجاهلية وأوهامها التى هدمها الاسلام والله اسأل أن يجعله مقبولا لديه فان الامر كله منه واليه انه اكرم مسئول وبيده القبول

---

(١) الصُوة بالضم حجر يكون علامة فى الطريق جمعة صوى

مقدمة

الانسان يمتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالأثر على وجود المؤثر ثم ينتهى بها البحث الى أن المؤثر فى الأكوان لا بد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة فى الانسان ولذلك ذهب الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ومن تابعه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضى مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم — وذهب علماء الأخلاق الى أن الدين ليس من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا تدين بدين

هذا والدين قديم وجد مع الانسان أما عند اهل الأديان السماوية فلأن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلأن الناس فى أطوارهم الأولى كانوا يعتقدون باليوم الآخر وان للانسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته لينتفع بها فى العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية

وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم ينسبون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى واكثر دخلا فى أحوال الناس ومصالحهم فينسبون اليها الموت والمرض والمحن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرصون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترضاء الأرواح الصالحة التى هى غالباً نفوس السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم الذين لهم فى القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المضار فعظموهم لذلك بعد الموت ونصبوا لهم التماثيل ولجئوا اليها يستعينون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحى ابتدأ باعتقاد الانسان ان له موجداً

أوجده وغيره من الممكنات وان له نفساً أو روحاً خالدة تصير بعد الموت فى عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع فى عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيوانا كان ذلك الكائن أو جماداً وهذه الروح تكون قوية اذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى فى الوهم حتى تخيل بعض الارواح آلهة فعبدها بعبادة المادة المتعلقة بها ومن ذلك عبادة الهنود لنهر الكنج والمصريين القدماء لنهر النيل والمجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وافريقية الغربية للأفاعى وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله الا من هذا القبيل

والأديان تنقسم قسمين — أديان الهية وهى ما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام . وأديان وضعية وهي ما ليس كذلك كدين المجوس عباد النار والبراهمة والبوذيين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهى من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله جل ثناؤه ووصفه باوصاف الكمال وتنزيهه عن مشابهة الحوادث وتحث على مكارم الأخلاق والاداب والفضائل وتنص على الأحكام التى تكفل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذى أنزلت فيه والذى يليه الى أن تنسخ بشرع رسول آخر فيصبح الناسخ الذى جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذى يجب اتباعه ويصبح ما تقدمه من الدين منسوخاً وذلك سر ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراة وقال لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعى وقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . والذى يوحى اليه من الله تعالى نبى أو رسول ويطلق النبى عرفا على رجل سليم من منفر معصوم عن كل رذيلة اكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وأوحى اليه بشرع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له كتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم فى عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء فى الكليات « وأول رسول ارسله الله الى أهل الارض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً » . لكن الاكثرون على عد آدم من المرسلين

والاديان السماوية كثيرة ولم يبق منها الآن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام و يعتنقها ثمانية ملايين و نصف من الانفس والنصرانية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسبعين مليوناً من الأنفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ويعتنقه نحو مائتى مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي منسوبة الى بوذا رجل كان فى سنة ستمائة واثنتين وعشرين قبل المسيح قصد بها فى الاصل اصلاح الديانة البراهمية(١)وتهذيب تعاليمها ولكن نشأت بين معتنقى الديانةالبراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها فى الصين واليابان وكوريا ومنشوريا وتبت ومنغوليا ويعتنقها نحو خمسمائة مليون من الأنفس

ولقد كانت العرب فى جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستراه مفصلا فى هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

ولقد بعث الله فى العرب قديماً انبياء فبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدوّ والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام لثمود وكانوا يسكنون بالحجر ووادى القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

---

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هودا عابرا أو عبيرا على وزن جعفر

أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز فكان من العرب من يدين بدين هؤلاء النبيين وا كثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام

وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاوريهم وناهيك ببلاد الشأم وهي الارض التي بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين فنقلوا تعاليم هذه الديانات الى بلادهم واعتنقها من اعتقدها منهم. وكان التوحيد دين اكثر العرب ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معالمه وراجت عبادة الاوثان فارسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وما زال يغالب الكفر ويهزم جيشه ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحض على مكارم الاخلاق ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت جيوش التوحيد كتائب الكفر والزيغ مهزومة واصبحت أبطال الضلال والالحاد صرعى مكلومة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً وختم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو ضال كافر

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسهب القول فى تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فنقول.

ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها فى دولة حمورابى الدولة البابلية الأولى التى هى من سنة الفين واربعمائة وستين قبل الميلاد الى سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه وبين نوح نبي الا هود وصالح فدعا قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق يسفه أحلام قومه ويطعن على آلهتهم ثم انتهز فرصة خروجهم فى يوم عيد لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر نمرود حاكمهم بأحراقه والقى فى النار فجعلها الله برداً وسلاما فلما نجاه الله أجمع امره والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين و نزل لوط بالموتفكة و بينهما مسيرة يوم وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر وصول هاجر لابراهيم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا و واحدة فى شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرى وغيرك (١) فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها ان تكون الا لك فارسل اليها فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد فقبضت يده أشد من القبضتين الأوليين فقال ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم (٢) فقالت خيراً كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بنى ماء السماء » (٣) وانما كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لأبراهيم فولدت له اسماعيل أبا العرب ولم يكن لسارة من ابراهيم ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى زيد فى نوادره وهاجر أول امرأة ثقبت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

---

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذلك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه لوط وآمن به جماعة من قومه (٢) كلمة استفهام بلغة أهل اليمن أى ما حالك وما شأنك أوما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة ملازمتهم للفلوات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) لحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها ابراهيم ان تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة فى العرب وأوحى الله لابراهيم ان احمل اسماعيل وأمه الى مكة . وكان من أمرهما ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق(٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة (٣) فوق زمزم فى أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئــذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء (٥) فيــه ماء ثم قَفّى ابراهيم منطلقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عنــد الثنية (٧) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهيــة ان تنظر اليــه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى

---

(١) روى انها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر فسكون ففتح ازار له حجزة (٣) الدوحة الشجرة الكبيرة
(٤) أى مكان المسجد لانه لم يكن بنى (٥) السقاء (بكسر اوله) قربة صغيرة (٦) اى ولى راجعاً (٧) الثنية الجبل (٨) يتلبط يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الانسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه (٢) تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث (٣) فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء (٧) لكانت زمزم عينا معيناً (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم (١٠) مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفا (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء

(١) المجهود هو الذى أصابه الجهد بفتح الجيم وتضم المشقة (٢) بفتح المهملة وسكون الهاء وبكسرها منونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتى (٣) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس فى الأصوات فعال بفتح أوله غيره — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغثنى (٤) شك من الراوى

(٥) بحاء مهملة وضاد معجمة وتشديد أى تجعله مثل الحوض

(٦) هو حكاية فعلها وهذا من أطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معينا أى ظاهراً جارياً (٩) الضيعه بفتح الضاد أى الهلاك

(١٠) جرهم هو ابن قحطان . وفى رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذى يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسلوا جريا أو جريين (١) فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا . قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فالفى (٢) ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس (٣) فنزلوا وارسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم (٤) واعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم(٥)وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا (٧) ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك أقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا فى جهد وشدة قال فهل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبي وقد أمرنى أن أفارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأه اخرى (٩)

(١) بفتح الجيم وفتح الراء وتشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير قيل سمى به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله

(٢) الفى أى وجد (٣) الأنس بضم الهمزة ضد الوحشة

(٤) أنفسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى السهيلى ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفقد حال ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابه كناية عن المرأة ـ وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم ابراهيم

(٩) ذكر الواقدى ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطنى ان اسمها السيدة بنت مضاض

فلبث عنهم ابراهيم ماشاء ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقرىء عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلاله (٢) تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال أعينك قال فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦) أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا

(١) خلوت بالشيء واختليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل اللبن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه وهو السهم العربي (٣) يعني من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك (٤) بهذا الحجر يعني مقام ابراهيم (٥) مسلمين أى خاضعين
(٦) يعني واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أى عرفنا متعبداتنا في

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويزكيهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم) . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن فى الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامتثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداه الله بذبح عظيم . ولقد اختلف فى أى ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين . قال أبو البقاء فى الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحى الخزاعى فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الاصنام وسيب السوائب — وذكر السهيلى (٤) ان اسماعيل نبى مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فآمن بعض وكفر بعض — وحكى الحلبى فى سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن فى زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين فى حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفى اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذى بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

﴿ المختلف فى نبوتهم من العرب ﴾

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فان لم يأمرهم بتبليغه فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف فى نبوته وعدهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أى من انفسهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبى ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يزكيهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) ماننقله عن السهيلى فمن كتابه الروض الأنف

فى كلياته فقال (والمختلف فى نبوتهم نيف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكالب وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر وآسية — ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبى الحسن الاشعرى القول بنبوة امرأة والواحد لايخرق الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة بدليل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان فنقول

اما تبع فهو لقب ملك اليمن لا يلقب به حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت ولا أدرى أى التبابعة المختلف فى نبوته أهو الرائش وهو تبع الأول أو ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو الذى عمر البيت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فمر بها ولم يهج اهلها وخلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فقال له أحد احبار اليهود من أهلها . الملك أجل من أن يطير به نزق أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يضيق عما حلمه أو نحرم صفحه مع أن هذا البلد مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم فاعتقد صدقه وتهوّد وادخل اليهودية بلاد اليمن وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسى فذهب بعضهم الى انه كان مؤمنا ولم يكن نبياً والكثيرون على نبوته قال الحلبى فى سيرته قال بعضهم لم يكن فى بنى اسماعيل نبى غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذى اطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب تعبدها كالمجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب فى الارض فلا يجد شيئا الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها

(١) تبان اسعد اسمان جعلا اسما واحدا فان شئت أضفت كما تضيف معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب فى الاسم الاخر

وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول بدا بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهى تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها فوجد كلاباً تحتها فضربها وضرب النار حتى اطفأها . وقيل انه كان السبب فى خروجها . فانه لما دعا قومه كذبوه وقالوا له انما تخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم اذ قومى كذبونى ولم يؤمنوا بى الا أن تسيل عليهم هـذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً خرجت فقالوا يا خالد اردها فأنا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل رأسه فى جيبه فيجيء المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت وهى عجوز على النبى فأكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنـة اخى مرحبا بابنة نبى ضيعه قومه فأسلمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفى البخارى أنا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بينى وبينه نبى (٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبى الرسول الذى يأتى بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبى ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما فى القاموس وشرحه « البئر المطوية بالحجارة وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومنه ما فى الاساس وقع فى الرس أى بئر لم تطو » سموا بذلك لانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفى أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الأنس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

---

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بداً (٢) فى تاريخ ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بدداً بدداً كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهى تلظى ولا خرجن منها وثيابى تندى

(٣) يروى بعضهم ان البنت التى جاءت الرسول ليست بنته الصلبيـة بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى

﴿ الحرم ومكانته عند العرب ﴾

الحرم مكة وما حواليها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك وحدود الحرم من مكة تختلف قرباً وبعداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال ومن جهة الجعرانة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى فى الروض المعطار عن الزبير ان أول من وضع علامات الحرم ونصب العمد عليه عدنان ابن أد خوفاً من أن تندرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه انها موضوعة قبل ذلك وهو الحق فانها من صنع ابراهيم الخليل وممن ذكر ذلك السيوطى فى كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم ابراهيم الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصى فجددها ثم لم تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعى فجددها ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث اربعة من قريش كانوا ينتدون فى نواديها فجددوا انصابه وهم مخرمة بن نوفل وأبو هود سعيد بن يربوع المخزومى وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهرى حتى كان عثمان بن عفان فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد أنصاب الحرم فبعث عبد الرحمن نفراً من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن ابن أزهر وكان سعيد بن يربوع قد ذهب بصره فى خلافة عمر وذهب بصر مخرمة بن نوفل فى خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم فى كل سنة فلما ولى معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن مروان أرسل الى أكبر شيخ يعلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من بنى بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم » وقال النووى فى شرح المهذب ان تلك الانصاب لاتزال الآن ثابتة فى جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة الجعرانة فليس فيهما انصاب

وقد جعل الله مكة وما حواليها حرماً آمنا يتخطف الناس من حوله

واختلف فى حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حرماً بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمنا) يعنى مكة وماحواليها فأجاب الله سؤله ويعاضده رواية أبى هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله وانى عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة مابين لابتيها عضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثانى » انها كانت منذ وجدت حرماً آمناً من الجبابرة والمتسلطين ومن الخسف والزلزال وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمناً من الجدب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ماروى عن أبى شريح الخراعى أن النبى لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضد (١) بها شجراً وانها لاتحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قتل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم فى ذلك فكانوا لاينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضاض

فسحت دموع العين تبكى لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه ... تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لاتزال أنيسة ... اذا خرجت منه فليست تغادر

وقال النابغة الذبيانى

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

---

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفعه على المعنى أى وتأمن فيه العصافير (٣) اقسم بالله الذى أمن (العائذات)

ماقلت من سيئ مما أتيت به   اذا فلا رفعت سوطى الى يدى

وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئا ولذلك قال الزبيدى فى العاص ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخويفه وان كان مقيما فى الحرم

ان الحرام لمن تمت كرامته   ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

ويرون مكة بلداً لقاحاً لاتؤدى اتاوة ولا تدين للملوك وهى كذلك ولذلك سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حرا ولم يملكه أحد

قال الزبرقان بن بدر لرجل من بنى عوف هجا أبا جهل وتناول قريشا

أتدرى من هجوت أبا حبيب   جليل خضارم سكنوا البطاحا(١)

وزاد الركب تذكر ام هشاما   وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)

روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر فى الجاهلية فتوجه وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك وصاح الاسود ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لاتدين لملك فلم يتم له مراده

وكانوا يحرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبى مطر الحضرمى يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح   فتكنف كالندامى من قريش(٣)

وهى الحديثة النتاج من الحيوانات جمع عائذة و (تمسحها ركبان مكة) أى تمسح عليها ولاتهيجها بأخذ و(الغيل) بكسر الغين و(السعد) أجمتان كانتا منافع مابين مكة ومنى   (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء و(البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى

(٢) و(أزواد الركب) مسافر بن أبى عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد فى سفر يطعمونه ويكفونه الزاد و(هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أرخوا بموته

(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و(تكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش

وقول خداش بن زهير فى يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا ففرت قريش الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ماشددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم(٢)

وكانوا يكرهون الظلم فى الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو ابن لحىّ لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام

وقول سبيعة بنت الأجب (٣) بن زبينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف عن الظلم فى الحرم وتعظم حرمة مكة

ابنى لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يغررك بالله الغرور
ابنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
ابنى يضرب وجهه ويلح بخديه السعير
ابنى قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بنيت بعرصتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن فى ثبير

وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا . واذا نزل أحدهم نهارا وأراد قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل تنزيها له ولا يبنون فيه بناء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاجب

والله أمنها وما بنيت بعرصتها قصور

---

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها اياها وهى طعام رقيق يتخذ من دقيق (٣) قال سيبويه الأحب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب وأبو عبيدة يقوله بالجيم

وانما كانوا اذا نزلوا فى الحرم ينزلون فى العريش وكانت العمالقة وجرهم حين ولايتهم الحرم ينتجعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مرّ فلما كانت ولاية الحرم لقريش فى قصى ابن كلاب بنى دار الندوة وهى أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم فى الحرم حول الكعبة لتهابهم العرب ولا تستحل قتالهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بنى شيبة وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح وتركوا قدر الطواف قال المبرد فى الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك بهذا الجوار حتى كان يقال يكفيك من قريش انهسا أقرب الناس من بيت الله بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تفىء عليها الكعبة صباحاً وتفىء على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى به فى منزله فيصلح له فاذا عاد فى الطواف رمى بها اليه وفى ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير فضل مكرمة ... بحيث حلت نجوم الكبش والاسد

مجاور البيت ذى الاركان بينهما ... ما دونهم فى جوار البيت من أحد

قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر ظالما ولا باغيا ولا يبغى فيها أحد الا مكته وأخرجته وقد روى الاصمعى قول الراجز فى تلبيته

يا مكة الفاجر مكى مكا ... ولا تمكى مذحجا وعكا

وكانت تسمى أيضا بالناسة لانها تنس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه وبالباسة لانها تبس من ألحد فيها أى تحطمه وتهلكه ومنه قوله تعالى وبست الجبال بساً

ولقد كان اجتناب الظلم فى الحرم شريعة عامة وديناً متبعاً وان حصل اعتداء على النفس أو المال فنادر كما آذى كفار قريش زيد بن عمرو بن نفيل فى مكة لما اطرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) وان بيتى أوسط المحلة (٢)
عند الصفا ليس بذى مضله

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبة السلمى باع متاعا من أبى بن خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بنى جمح فلم يقم بجواره فقال

يال قصى كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم
أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمى فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)
فأت البيوت وكن من اهلها صددا لا يلق ناديهم فحشا ولا باسا (٤)
وثم كن بفناء البيت معتصما تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا
قرمى قريش وحلا فى ذؤابتها بالجد والحزم ماحازا وماساسا (٥)
ساقى الحجيج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحماقة واما الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العقلاء ان ما كان يقع من المظالم فى الحرم لو لم تقف الحق فى سبيلها وترد الحقوق لأصحابها لسقطت هيبة الحرم من نفوس العرب واعتدى على سكان البلد الحرام فتكلموا فى ذلك ثم تحالفوا على نصرة المظلوم على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان فى الحقيقة حلفا سياسيا اجتماعيا عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامه ودفعهم لعقده أيضا الدين مخافة ان يعاقبهم الله على البغى فى الحرم

(١) محرم ساكن فى الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الذمه بالكسر العهد والغل الحقد (٤) كن صدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز والشرف وكل شيء أعلاه

أما العدوان الذى كان سببا مباشرا لهذا الحلف فهو ما روى ان رجلا من بنى زبيد قدم مكة معتمرا فى الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل السهمى وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدى متاعه فلم يقدر عليه فجاء الى بنى سهم يستعديهم عليه فعرف ان لا سبيل الى ماله فطوف فى قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره الاحلاف عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدى الشر أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة وصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
اقائم من بنى سهم بذمتهم ام ذاهب فى ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال

حلفت لنعقدن حلفا عليهم وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت انا أباة الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لأخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكنى مكة ومشى الى عبد الله بن جدعان التيمى وهو يومئذ شيخ قريش واخبره بظلم بنى سهم وقد كان أصاب بنى سهم أمران طنونهما للبغى . احدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة . وثانيهما ان ركبا منهم أقبلوا من الشأم فنزلوا بماء يقال له القطيعة وصبوا فضلة خمر لهم فى اناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيأ فى الاناء فهب القوم فشربوا منه فماتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بنى هاشم وبنى اسد

ابن عبد العزى (١) و بنى زهرة و بنى تيم بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار فى شعبان وحلف الفضول بعدها فى ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا فى شهر حرام قياماً يتماسحون بأكفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مظلمته ممن ظلمه شريفا أو وضيعا منهم أو من غيرهم أو يبلغوا فى ذلك عذرا وعلى ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلا الا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مابل بحر صوفة ومارسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى فى المعاش والتساهم بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه فى جفنة وبعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدى اليه حقه فاعطى الرجل حقه فمكثوا كذلك لا يظلم أحد بمكة الا أخذوا له حقه . ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو ان رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول ولقد شهده رسول الله فعن عائشة انها سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لى به حمر النعم وانى نقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا و تعاقدوا ألا يقيم ببطن مكة ظالم (٣)
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمعتر فيهم سالم (٤)

(١) تابعنا ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول

(٢) فى رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة

(٣) الفضول هم القبائل التى عقدت هذا الحلف (٤) المعتر الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا فى عقده قال المطيبون والله لئن تكلمنا فى هذا ليغضبن الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا فى هذا ليغضبن المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمى بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل هؤلاء فى فضل من الامر . ونقل السهيلى سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الأول فتحالف منهم ثلاثة ومن تبعهم أحدهم الفضل بن فضالة والثانى الفضل بن وداعة والثالث فضيل بن الحارث هذا قول القتبى . وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل ابن وداعة والفضل بن قضاعة . فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول والفضول جمع فضل وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن بن أبى بكر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به فى الاسلام لأجبت . تحالفوا ان ترد الفضول على أهلها والا يعز ظالم مظلوما فقد بين هذا الحديث لم سمى حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف فى العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه فى كثير من الحوادث .

فمن آثار نفعه فى الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت فى غريب الحديث ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى من يعدينى على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمنى فى ابنتى وانتزعها منى قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فاخرجها اليهم

ومن ذلك ما فى الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلمة له من أبىّ بن خلف الجُمَحى فظلمه وكان يسيء المخالطة فأتى الثمالى الى أهل حلف الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقك والا فارجع| الينا فأتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه اياه بعينه وقال الثمالى فى ذلك

ايأخذنى فى بطن مكة ظالما أبىّ ولا قومى لدى ولا صحبى
وناديت قومى صارخاً لتجيبنى وكم دون قومى من فياف ومن سهب
ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمح والحق يؤخذ بالغصب

ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند التحزب حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال الا يا لله ويا للمسلمين وجاز يالحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزدد به هذا الحلف الا قوة وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده الاسلام الاشدة أن يقول الحليف يا لفلان لحلفائه فيجيبوه بل الشدة فى الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك مافى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضبا من عنده فلقى عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لأهتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقينى الحسين نخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لقيته مغضباً فهات الثلاث . قال تجعلنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لو دعانى الى حلف الفضول لأجبته . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل وجعل ارتفاعها خمساً وعشرين ذراعاً . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

---

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلى : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحاً لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناه عامر الجارود

حلفت بثوبى راهب الشام والتى   بناها قصى وحده وابن جرهم

ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة . وكان بابها فى الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى لا يدخل الا بسلم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ المخزومى يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا انما أخرجوا من النفقة لا يكفى للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساساً فى بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل فى بنائها حتى اذا بلغ البنيان موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه حتى تحالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضيناه هذا محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذه بيده الشريفة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة فى زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد اليه الحصين بن نمير فى عسكر كثيف من أهل الشأم فالتجأ ابن الزبير للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقذوفه الكعبة فهدمها وحرق

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبى بكر ان الذى وضع الركن فى بناء عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتنم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه فى

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبناها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الاخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خَلْفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها فى السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف فحاصره فى مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير فى الكعبة فقال لسنا من تخليط أبى خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامى الشمالى ست أذرع وشبرا وبنى على أساس قريش ورفع الباب الشرقى وسد الغربى ولم يغير من باقيها شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبى ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبى ربيعة ومعه رجل آخر فحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكث الارض بمخصرة فى يده ويقول « وددت انى تركت أبا خبيب وما تحمل فى ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك . فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب

المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس فى ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه

(١) خلفاً أى باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تكنى باسم ولده خبيب

هيبته من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقى حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت فى الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبان أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف فى نبوتهم من العرب رووا انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل المصفى وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافريه (٢) . ثم أرى ان يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٣) قال ابن هشام (واوصي بالبيت ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره والا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مئلاة وهى المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحا) وقال فى كسوته

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)
فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)
ونحرنا بالشعب ستة آلا ف ترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا اسعد الحميرى فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

(١) جمع خصفة وهى ثوب غايظ أو شيء ينسج من الخوص والاليف

(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حيّ من همدان (٣) الوصائل ثياب حِبَرة من عصب اليمن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض واحدتها وصيلة (٤) قال السهيلى لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقة المحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب له علم فى موضع العضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع   وكسا بنيتها الحبير (١)
وأذل ربى ملكه   فيها فأوفى بالنذور
يمشى اليها حافيا   بفنائها الفا بعير
ويظل يطعم أهلها   لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى   والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجلل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى فى المال فقال لقريش انا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتي بالحبر الجندية من الجند وهى بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العدل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم التروية (٤) من الديباج (٥) ليراها الناس فى بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

---

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المنقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

(٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن نتيلة أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنحرها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسترت الكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسى شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه

وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام فى قصيدته اللامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل

وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النبى عليه السلام الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأمويون وكان العباسيون يكسونها الحرير الأسود وينسجون كسوتها بتنيس احدى مدن مصر التى عفت ولما ضعفت شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحينا من ملوك مصر ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتى بسوس وسندبيس بمديرية القليوبية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان فى كل عام

وكانوا فى الجاهلية لا ينزعون من ثيابها شيئاً فعن ابن أبى مليكة انه قال . كانت على الكعبة كسى كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاما بعضها فوق بعض فلما كسيت فى الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام معاوية فكتب اليه شيبة بن عثمان الحجبى يرغب اليه فى تخفيفها من كسى الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة فجردها شيبة حتى لم يبق عليها شيء وكساها الكسوة التى بعث بها معاوية وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة وكان ابن عباس حاضرا فى المسجد فلم ينكر عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبة

العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيرا فنذرت ان هى وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بعها واجعل ثمنها فى سبيل الله

ثم لم تكن تجرد فى كل عام حتى حج الخليفة المهدى العباسى سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدنة الكعبة كثرة الكساوى التى عليها فأمر بها فانزلت وأمر الا يعلق عليها الا كسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم العجم والعرب للكعبة

قد عظمت العجم والعرب الكعبة فمن تعظيم العجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبوه أحد آلهتهم وهو الأقنوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت فى الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرمز حلت فى الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لاعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسعودى سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها فى الزمن الاول فزمزمت عليها ـ والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفها الاقدم

والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض شعراء الفرس فى الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلقى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا
وطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيل تروى الشاربينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أبيهم ابراهيم واسماعيل . فمنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبنى بيوتها حوله

لتهابهم العرب لمكان البيت فامتثلوا أمره . و(كانوا) لايرفعون بناءهم فوق بنائها تعظيما لها . و(كانوا) يتحامون التربيع فى البناء كيلا يشبهها وأول من بنى بيتا مربعاً حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبدالعزى كما فى الحيوان للجاحظ لكن فى صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بديل بن ورقاء الخزاعى و (كانوا) يخلعون نعالهم عند دخولها . وفى صبح الاعشى ان أول من خلع نعليه عند دخولها الوليدبن المغيرة . و (كانوا) يحلفون بها والشواهد على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبى سلمى

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

و (كانوا) يضمخون البيت فى الجاهلية بلحوم الأبل ودمائها فلما جاء الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان نضمخ فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم

ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون فى احترامها واتخذوها معبدا كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والعذراء وصوروا بها ابراهيم واسماعيل وفى أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذى تعبده عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنما وما زالت كذلك حتى بعث رسول الله فمحا الصور وكسر الاصنام وخلصها لعبادة الله وحده

ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاورى البيت الحرام بالرئاسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهى به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)

اما بُسّ — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما استشعروا من نفسهم القوة عند ما انتصروا على صداء — وهى قبيلة من مَذْحج — قالوا والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعضد شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعلهم هذا زهير بن جناب وهو

(١) فى القاموس بُسٌّ بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يومئذ سيد كاب . قال والله لا يكون هذا أبدا وانا حي فسار فى قومه حتى غزا غطفان فظفر بهم وأسر فارسا فى حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبته فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبنى مرة بن عوف

واما كنيسة القليس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبن العرب والعجم مثله ولن أنتهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النسأة أحد بنى فقيم ابن عدى بن عامر فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم خرج فلحق بقومه فلما أخبر بذلك أبرهة سأل عمن صنعه فقيل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالمغمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاتلهم وعلمت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك (٢)

يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزءوا به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالما وهدم بناءه (١) قال السهيلى سميت هذه الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرؤوس

(٢) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى . و (الحلال) القوم الحلول فى المكان

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك (١)
اذ كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتحرزوا فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبش وأخذوا ينتظرون ما ابرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جنده . فلما وجهوا الفيل الى جهة الكعبة برك فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن فى مراقه حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة فبرك وجعل الله كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك نخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب فى جسمه يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فامات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما رأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشا . وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استذل ابرهة أهل اليمن فى بناء القليس وبناها بحجارة قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنيا بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ وبه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراده من بهجتها وحسنها فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان فى قصر بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربى (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

---

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و (السجيل) الشديد الصلب

(٣) هو محيي الدين ابن العربى وجميع ما ننسبه له فمن كتابه محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار فى الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع . وكان له باب من نحاس عشر اذرع طولا فى اربع اذرع عرضا . وكان المدخل منه الى بيت فى جوفه طوله ثمانون ذراعاً فى اربعين ذراعا محلى بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب ثم يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعا عن يمينه وعن يساره عقد مضروبة بالفسيفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان الى قبة ثلاثون ذراعا فى مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلى مطلع الشمس من البلق مربعة عشر اذرع فى مثلها تعشى عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدى ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفى القبة سلاسل فضة . وكان فى القبة وفى البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها كعيب وخشبة من ساج نحوها فى الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما فى الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحورى . وهو فى لسانهم الحر » رووا انه لما هلك أبرهة ومزقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئا فأصيب بأذى فنسب رعاع اليمن ما اصابه الى الصنمين كعيب وامرأته فتحاماها الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من المال الى زمن أبى جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمن العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثى يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس مالا كثيرا بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها فى كعيب والخشبة التى معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمن يقولون فيهما فعلق السلاسل فى العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزا من السور . فلما لم ير الناس شيئا مما كانوا يخافون من مصراتهما اشترى رجل عراقى الخشبة وقطعها لدار له . واتفق أن العراقى أصيب بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم وقالوا أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهينة يقال له عبد الدار بن حُديب قال لقومه هلم نبني بيتا نضاهي به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بأن تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأثم
فأبى الذين اذا دعوا لعظيمة راغوا ولاذوا في جوانب قودم
يلحون ان لا يأمروا فاذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الاربعة الاشهر الحرم ـ والبسل

كما كانوا على دين ابراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب . فكانوا ينزعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلقى الرجل فيها قاتل ابيه أو اخيه فلا يتعرض له .ولم تكن العرب كلها تحرم الاشهر الحرم فقد كانت طيء كلها وخثعم كلها وكثير من أحياء قضاعة ويشكر وبني الحارث بن كعب على ماحكاه الجاحظ في الحيوان محلين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعيتها فقال

« ان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمات الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذي زرع أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على انفسهم واهليهم واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر مايصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية ومانعزوه اليه بكنية أبي المنذر فمما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللعمّار يأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج . وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوما فكانت الأقوات تأتى أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل مصلحة لأهلها ونظرا من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم »

ولاعتيادهم الاعتمار فى رجب سموه منصل الألّ (١) لانهم كانوا ينصلون الأسنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه فى منصل الأل بعد ما مضى غير دأداء وقد كاد يعطب(٢)

وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه يالفلان ويالفلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجبا اكثر من سائر العرب وتذبح فيه قربانًا تسميه الرجبية حتى أضيف اليها فقيل رجب مضر

وكانوا يرون رجباً أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن الخطاب رأى رجلا مبتلى فقال ما رأيت افظع منظرا منه . فقيل له أما تعرفه يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السلمى الذى دعا عليه عياض . فقال لعياض اخبرنى خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا ابن عم لهم فكنت مستجيرا بهم وجارا لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدوانا فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم يفد فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدى الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بنى ضبعان الا واحدا
ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعمى اذا ماقيد أعيا القائدا

وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقى منهم هذا اعمى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الألّ الاسنة ـ والألة الحربة ـ يقال ألهُ يؤله ألّا اذا طعنه
(٢) الدأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ بالثار أو انتهاز اغتيال يدعو اليه الحقد والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي على ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من حيث أن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته ثم قال والذى رواه عن أهل اللغة قول لا نعرفه والذى نعرفه انهم يسمون الليلة التي ينقضى بها آخر الاشــهر الحرم ويتم فلتة . وهى آخر ليــلة من ليالى الشهر لانه ربما رأى الهلال قوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباقون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا سميت تلك فلتة (١)

فمن مسارعتهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن المقشعر الضبى فانه لما علم أن الخنيفس الضبي قتل أخاه بيده فى آخر يوم من جمادى الآخرة نهض عاصم قبــل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بفناء خباء الخنيفس ناداه مستنجدا فلما خرج اليه الخنيفس وسار معه داناه عاصم حتى قاربه ثم قنعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى ورجب) فسارت كلمته مثلا

فاذا انسلخت الاشــهر الحرم كانوا بين حروب أوقدت نارها الاحقاد وغارات أثارها طلب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل الغنوى وهو شاعر جاهلي

فلماأن أبرقن الخريف وشمنه وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)

يعنى دخلت شهور الحل فخفن انـــ يغير الهمام عليهن فتمكبن ناحيته وتبــاعدن عنه .وقد توعد تأبط شرا العوص بقتالهم عند انسلاخ الأشهر الحرم وذلك انه خرج يوما وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بجيلة

(١) فى القاموس الفلتة آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف — وقال بعضهم دخلن فى برق الخريف و (شمنه) أبصرنه — والشيم النظر الى البرق خاصة و (القنابل) جمع قُنبلة وهى الجماعة من الخيل

فاخذوا نعما لهم واتبعهم العوص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباه فقال يرثيهما ويتوعد .

لنعم فتى نلتم كأن رداءه على سرحة من سرح دومة شانق(١)
فمدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيل أناس أو فتاة تعانق (٢)

ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا فى الشهر الحرام بل وفى الحرم نفسه لسبب الغضب الذى يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين. كما كان من الشنفرى فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقيل له هذا قاتل أبيك فقتله ثم سبق الناس على رجليه وقال

قتلت حراما مهديا بملبد ببطن منى وسط الحجيج المصوت(٣)

وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك فى شهر رجب الحرام

وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابخة فى الشهر الحرام الحارث بن كعب . وكان من خبره ما روى ان الحارث لقى سعيد بن ضبة وهو غلام قد خرج فى ابل لأبيه قد ضات وكان عليه بردان فاقيه الحارث فسأله برديه فأبى عليه فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث ابن كعب وعليه بردا ابنه سعيد فعرفهما . فقال له هل أنت مخبرى عن هذين البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى على فقتلته واخذتهما فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فانى أظنه صارماً فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله . فقيل يا ضبة أفى الشهر الحرام فقال : سبق السيف العذل قال الفرزدق .

لا تأمنن الحرب ان استعارها كضبة اذ قال الحديث شجون

ومن ذلك قتل البراض بن قيس الكنانى عروة الرحال الهوازنى فى

(١) شانق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف
(٣) المهدى سائق الهدى وهو ما أهدى الى الحرم

حديث رووه وهو ان البراض كان سكيرا فاسقاخلعهقومهوتبرءوا منه فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرةوكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بلطيمة(١) لتباع فيه و يشترى له بثمنها أدم من أدم الطائف . وكان يرسلها فى جوار رجل من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامه وكان عروة الرحال حاضرا فقال أنا اجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعا أفكلب خليع يجيرها فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثانى (٢) فجار البراض وايامه يوم نخلة ثم يوم شمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم الحريرة (٣) وهى حرة الى جنب عكاظ كما فى الاغانى وكانت حرب الفجار فى الاشهر الحرم ففى القاموس (ايام الفجار بالكسر أربعة أفجرة فى الاشهر الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجرنا حضرها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وفى الحديث كنت أنبل (٥) على عمومى يوم الفجار ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه معهم وقيل لم يقاتل فى فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفى الاغانى ان النبى شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

---

(١) اللطيمة العير التى تحمل الطيب والبز للتجارة(٢) الفجار الاول كانت الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم تشهر بها (٣) الحريرة كهريرة . وقد جعل السهيلى أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوما وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا العنابس (٤) استظهر الحلبى فى سيرته ان حرب الفجار لم تكن فى الشهر الحرام بل كانت فى شوال وقيل فى شعبان (٥) أنبل على عمومتى أى أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمه وأهله النبل وعمره يومئذ عشرون سنة وطعن عليه السلام أبا براء ملاعب الأسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرني اني لم أشهده انهم تعدوا على قومي عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب بقوله (ولا يزال الطاعن يقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام الفجار بالفجور وقريشا خاصة الا ان القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغا . وقال شهدت الفجار فكنت أنبل على عمومتي (وجوابنا في ذلك) ان بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة بجريرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال . وقد علموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل ذلك خليعا مطرودا فأتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فدافعوا عن أنفسهم وعن أموالهم وعن ذراريهم والفاجر لا يكون المسعى عليه . ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصروا كما نصرت العرب على فارس يوم ذى قار به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه)

وخالف السهيلي الجاحظ فانكر قتال النبي فيها بقوله « وانما لم يقاتل رسول الله مع أعمامه وكان ينبل عليهم وقد كان بلغ سن القتال لأنها كانت حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن ان يقاتل الا لتكون كلمة الله هي العليا » واني لأعجب من السهيلي في قصره المقاتلة على الرمي بالسهام أو الطعن بالرماح مع ان من كان ينبل على المقاتلة مشترك في القتال ومعين عليه ودعواه ان الله لم يأذن لمؤمن في القتال الا لاعلاء كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم لم يقفوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا الأشهر الحرم ثمانية وهو (البسل) قال في القاموس البسل ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وقيس . وذكر ابن اسحاق بنى مرة بن عوف وهم قوم دخلوا فى نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يزعمون نسبئهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لاينكرونه ولا يدفعونه يسيرون به الى أى بلاد العرب شاءوا لا يخافون منهم شيئا:

النسىء

ولما كانت العرب تدين بدين ابراهيم من تحريم القتال فى الاربعة الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا مغاويح لشن الغارات وطلب الثارات كرهوا توالى ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها وأحدثوا النسأة وكانوا يسألونهم تأخير حرمة المحرم الى صفر قاله أبو على القالى فى أماليه (١) وقال أبو عبيد انهم اذا احتاجوا للحرب فى المحرم أخروا تحريمه الى صفر ثم يؤخرون صفرا فى سنة أخرى . وكانت النسأة من بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أتزعم انى من فقيم بن مالك ... لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسئ يمشون تحت لوائه ... يحل اذا شاء الشهور ويحرم

أما مكان النسىء فذكر انه كان جمرة العقبة فكان يقف عندها الناسئ اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم انى ناسئ الشهور وواضعها ولا أعاب فى أمرى ولا يرد لى قضاء اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طيئ وخثعم(١) فاقتلوهم حيث ثقفتموهم — فيسألونه أن ينسئهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد

---

(١) عبارته تقتضى ان النسىء لا يكون فى رجب لانه فرد وخالفه الفيروزابادى فى القاموس لقوله (القلمس رجل كنانى من نسأة الشهور كان يقف عند جمرة العقبة ويقول اللهم انى ناسئ الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر وكذلك فى الرجبين يعنى رجبا وشعبان انفروا على اسم الله)

(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محلين يعدون على الناس فى الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال ان المنسكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة

وذكر المقريزى أن الناسئ كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب من حجها فيقول لهم : ان آلهتكم العزى قد انسأت صفرا الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم تلك عبارته فلعل الناسئ كان ينسئ مرتين مرة عند جمرة العقبة وأخرى على باب الكعبة وحصر الناسئين ابن هشام فقال وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع(١) بن عباد ثم قام بعد قلع امية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن امية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام الاسلام . فجملهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقريزى الى أن أول ناسئ سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القلمس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم صار النسيء فى ولده الى آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر الانبارى ان من النسأة نعيم بن ثعلبة وتعقبه السهيلى بان هذا ليس بمعروف

وفى صبح الاعشى ان أول من نسأ النسيء عمرو بن لحى وهو أبو خزاعة (٢)

ولقد اكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنسأة من ذلك قول بعضهم

— ومنا ناسيء الشهر القلمس — وقال غيره

نسئوا الشهور بها وكانوا أهلها　　من قبلكم والعز لم يتحول

وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

---

(١) نقل السهيلى عن ابن الكلبى انه قال فنسأ قلع بن عباد سبع سنين ونسأ بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسأ من بعده جنادة وهو القلمس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسيء بهذا المعنى جعل النسأة من بنى كنانة فلعل عمرو بن لحى مبتدع النسيء بمعنى تأخير الحج عن وقته

اقد علمت معد ان قومى كرام الناس ان لهم كراما(١)
فأى الناس فاتونا بوتر وأى الناس لم نعلك لجاما(٢)
ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسىء، وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج فى دين ابراهيم فى شهر ذى الحجة. وهو شهر هلالى يدور فى كل فصل من فصول السنة. فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتدرك الفاكهة والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببصائعهم

فقد كانت تقام فى أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى بجمة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو المجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة

فأخروا الحج فى كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية فنسئوا المحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج فى السنة الثانيــة فى عاشر المحرم وصار فى اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنه وصار فى السنة محرمان ثانيهما للنسىء وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه. فكانوا يديرون النسىء على جميع شهور السنة فيكون لهم فى سنة صفران وفى أخرى ربيعان وهكذا وهــذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون فى كل شهر من شهور السنة

وفى الملل للشهرستانى، كانوا يكبسون فى كل عامين شهرا وفى كل ثلاثة أعوام شهرا. وكانوا اذا حجوا فى شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروية(٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك فى شهر ذى الحجة فيكون يوم النحر عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسىء بهذا المعنى وقد

---

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعلكت الفرس لجامه اذا رددته عن تنزعه فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه يعنى أى الناس لم نكفهم كما تكف الفرس باللجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجه

نقصت دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابي (علوم العرب في الجاهلية) ومن لطيف الاشارات في الرد عليه ما نقله السهيلي عن شيخه أبي بكر في قوله تعالى (يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) قال « وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات الموقتة بالاوقات تأكيدا لاعتباره بالأهلة دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور العجمية » . وقد حرم الله نوعي النسيء لقوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ورجب مضر (١) الذي بين جمادى وشعبان ثم تلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا (٢) في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله (٤) زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين

والمعنى لقد عاد الحج في ذي القعدة وبطل النسيء بنوعيه لما في أحدهما من كون السنة ثلاثة عشر شهرا ولما في الثاني من عدم توالي الثلاثة الاشهر الحرم

(١) قال النووي قالوا كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب وكانت مضر تجعل رجبا ما بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان ولهذا أضافه النبي الى مضر وقال السهيلي انما قال رجب مضر لان ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجبا من رجبت الرجل ورجبته اذا عظمته (٢) أي لا ثلاثة عشر شهرا كما كانوا يعملون لموافقة السنة الشمسية (٣) أي يحلون الشهر من الاشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما — وهذا يصدق على النسيء بنوعيه (٤) ليواطئوا أي يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة التي هي الاربعة وفاتهم التخصيص الذي هو أحد الواجبين

الحج - أحكام الاحرام به (١) الحمس

فرض حج البيت فى دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنادى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ومعه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير فى الكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسماعيل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة . ثم بات حتى أصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذى يقف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الاخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا أسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف يرمى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذى أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبارة ابن الأثير ومقتضاها أن الصلوات الخمس شرعت فى دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن النووى ذكر فى شرح مسلم أن المزدلفة سميت بجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضاه أنهم كانوا يصلونهما لأن علة التسمية تقتضى قدم تسميتها بذلك فى الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام مشاة أو ركبانا ومنهم من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذى نذر ومن كل راجل(٣)

(١) الاحرام بالحج الدخول فى اعماله لأن الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطى فى اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنهم من كان لايتكلم فى الحج تقربا لله تعالى روى البخارى فى صحيحه بسنده عن قيس بن أبى حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال مالها لا تكلم قالوا حجت مصمتة . قال لها تكلمي فان هذا لايحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت

وهم ينقسمون بالنسبة لاعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء موافق لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم

القسم الثانى من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء خلطوا أعمال الحج المشروعة فى دين ابراهيم بالتقرب للاوثان من الاهلال بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركوا مع غيرهم فى كل اعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم فى رأيهم وامتازوا بأمور ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فقسموا العرب بفعلهم الى حلة وحمس . وبين ابن اسحاق مادعا قريشا لابتداع التحمس فقال

وقد كانت قريش لا أدرى قبل الفيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحمس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ماتعرف لنا . فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ماعظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

---

(١) فى القاموس الحمس لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم أى تشددهم أو لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة لان حجرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا رأى الحمس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس ـ والحمس أهل الحرم ـ ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحل لهم مايحل لهم ويحرم عليهم مايحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك »

ومن الحمس أيضا جديلة قيس كما حكاه النووى . وقال أبو عبيدة النحوى أن بنى عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً فى رأى الحمس . وذكر ابن العربى أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن على بن يعصر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فمرض مرضا شديدا فنذرت سلمى لئن برئ لتحمسنه فلما برئ حمسته وعليه فهوازن من الحمس أيضا

ورووا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة فى قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس فى الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقى قاتل أبيه فى الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقرب به وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته(١) ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتى أهله حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس فى الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تخل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »

---

(١) أحمته جعلته حمى لا يقرب

ومنهم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »

وابتدعت الحمس فى الحج من باب التزهد والتأله أشياء حكاها ابن العربى من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الحمس ينسجن ولا يغزلن الشعر ولا يسلأن السمن (٢) اذا أحرمن . وكان الحمس اذا أحرموا لا يأقطون الاقط ولا يأكلون السمن ولا يسلئونه ولا يمخضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا محرمين ولا يغزلون الشعر ولا الوبر ولا ينسجونه وانما يستظلون بالأدم . ولا يأكلون شيئا من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بذمة ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم فى الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر يعنى من أهل البيوت والقرى نقب نقباً فى ظهر بيته فمنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الحمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويحرمون الدخول من أبوابها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فاحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحمس يارسول الله فقال رسول الله وأنا أحمس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) . وخالف التبريزى فى شرح حماسة أبى تمام . فقال (وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من اهل المدر اتخذ نقبا فى ظهر بيته فمنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سلما يصعد فيه وينحدر ـ وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الحمس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سلمة ولم يكن من الحمس فدخل

---

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأنكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال يارسول الله وأنت محرم فقال له انى أحمس فقال الرجل ان كنت أحمسيا فانى أحمسى رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربى الى ان الحمس لايدخلون البيوت ولايخرجون منها من أبوابها و ناقضه التبريزى فأجازه للحمس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبى منكرا على الرجل متابعته فى دخول البيت من بابه لانه أحمس والرجل ليس بأحمس وجعله ابن العربى آمرا له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسيرابن جريرالطبرى ترى الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربى بأن قريشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا التحمس فى الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد مافيه وجدنا رواية التبريزى يرجحها أن قريشا كانت ترى نفسها معزوزة الجانب عند الله لايحول بينها و بين الرحمات التى تنزل من السماء سقف ولاغيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم ويناسب هذا انها لاتحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولاعمرة لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم و بين السماء شىء يتحرجون من ذلك فلا يدخل أحدهم من باب الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه و بين السماء وكانت الحمس لايبالون ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من العرب فى حجهم وعمرتهم . وللكلام على الحمس بقية تذكر عند الكلام على الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يلبدون شعورهم ــ والتلبيد أن يأخذ شيئاً من خطمى وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعله فى أصول شعره وعلى رأسه كى يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويخم فيقمل قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
وحف الرواح تراقصت تمشي بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)

وكانوا فى الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن العجلان النهدى

انى وما مار بالفريق وما قرقر بالجلهتين من شرب (٣)
من شعر كالليل ينبذ بالقمـ ل وما مار من دم سرب (٤)

وقال أمية بن أبى الصلت

ساجى أياطلهم لم ينزعوا تفثا ولم يسلوا لهم قملا وصئبانا (٥)

التلبية ـ الطواف بالبيت ـ السعى ـ الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون فى الحج وشاهد التهليل قول نبيه بن الحجاج

انى والذى يحج له شمـ ط اياد وهللوا تهليلا (٦)
ومبيتا بذى المجاز ثلاثا ومتى كان حجنا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحدونه بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده . قال تعالى(وما يؤمن

---

(١) الراقصات الابل تسير الخبب و(ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف الرواح الوحف الاسراع و(الرواح) العشى أو من الزوال الى الليل اى مسرعة ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و(الفريق) الطائفة من الناس أكثر من الفرقة ويريد جماعة الحاج و(ماقرقر) أى وبعير هدر و(جلهتا الوادى) جانباه و(من شرب) أى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى و (سرب) جار (٥) ساجى فعله سجا سجوا سكن ودام و (أياطل) جمع أيطل والايطل الخاصرة و(التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قص الاظفار والشارب ونتف الابط وغير ذلك و (الصئبان) بيض القمل مفرده الصؤابة كغرابة (٦) هلل قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الاوهم مشركون) اى ما يوحدوننى بمعرفة حق الا جعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبية عك اذا خرجوا حجاجا قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا عك (١) — فتقول عك من بعدهما

عك اليك عانيه عبادك اليمانيه
كيما نحج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف نفرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق » . وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لاشريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد. قد(٢) فيقولون الا شريكا هولك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نغدوا بها مضمرات شُزّرا(٣)
قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وكان لا يشرك فى تلبيته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبدا ورقا
عذت بما عاذ به ابراهم مستقبل القبلة وهو قائم اذ قال

---

(١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكفى أو كفى (٣) العَمر بالفتح و بالضم وبضمتين الحياة أى طول الحياة و(الضمر) بالضم وبضمتين الهزال و(الشزر) النظر عن يمين وشمال وشُزّر جمع شزراء شىء لم يبالغ فيه

أنفى لك اللهم عان راغم   مهما تجشمنى فانى جاشم (١)
البر ابغى لا الخال   ليس مهجر كمن قال (٢)

وكانوا فى الجاهلية يطوفون فى الحج بالبيت الحرام (٣) قال مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمى

ونحن ولينا البيت من بعد نابت   نطوف بذاك البيت والخير ظاهر (٤)

ويجعلون طوافهم سبعا قال حسان بن تبع

ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا   وسجدنا عند المقام سجودا

وفى قول حسان وسجدنا عند المقام سجودا دليل على احترامهم مقام ابراهيم وتقديسه وقد اقسم به ابو طالب فى قوله

وموطئ ابراهيم بالصخر رطبة   على قدميه حافيا غير ناعل

ولم تكن عادة الطواف بالبيت عندهم مقصورة على فريضة الحج .

وكانوا يتمسحون بالحجر الاسود وشاهده قول ابى طالب

وبالحجر الاسود اذ يمسحونه   اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل (٥)

---

(١) رغم أنفه ذل و(تجشمى) تكلفنى على مشقة (٢) فى رواية : البر أبغى و (الخال) الخيلاء والكبر و (هجر) مشى فى الهاجرة اى ليس من هجر ونكس كمن آثر القائلة والنوم (٣) قال صاحب كتاب حجة الله البالغة فى سر احترام البيت « واما الكعبة فكان الناس فى زمن ابراهيم عليه السلام توغلوا فى بناء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب وصار عندهم التوحيد الى المجرد غير المحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون الحلول فيه والتلبس به تقربا منه امرا محالا تدفعه عقولهم بادى الرأى فاستوجب أهل ذلك الزمان أن تظهر رحمة الله بهم فى صورة بيت يطوفون به ويتقربون به الى الله ويدعوا الى البيت وتعظيمه ثم نشأ قرن بعد قرن على علم أن تعظيمه مساوق لتعظيم الله والتفريط فى حقه مساوق للتفريط فى حق الله فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه (٤) كانت ولاية البيت لنابت بن اسماعيل ثم صارت بعد لجرهم (٥) قال السهيلى قوله بالحجر الاسود

ومن العرب من كان يطوف بالبيت عاريا حكى ابن هشام فى سيرته وابن العربى أن قريشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لاينبغى لاهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا فى ثياب الحمس يستعيرونها منهم للطواف بها حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعير معوزا من يعير مصونا فان أعاره أحمس ثوبه طاف به فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان أنف منهم أحد من رجل او امرأة أن يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا احد غيره ابدا وكانت العرب تسمى هذه الثياب اللقى ـ قال شاعرهم يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه

كفى حزنا كرى عليها كأنها لقى بين أيدى الطائفين حريم (١)

فكان رجال الحل اذا لم يعرهم الحمس ثوبا طافوا عراة اما النساء فكانت أحداهن تضع ثيابها كلها الادرعا مفرجا ثم تطوف فالت ضباعة (٢) بنت عامر ابن صعصعة ثم من بنى سلمة بن قشير وهى تطوف بالبيت كذلك

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة الا الحمس ـ والحمس قريش وما ولدت ـ كانوا يطوفون عراة الا أن تعطيهم

فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة فى الاصيل وهو مابعد صلاة العصر الى الغروب (١) حريم اى محرم لايؤخذ ولا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب ان رسول الله خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل انها ماتت كمدا وحزنا على ذلك قال السهيلى : ان كان صح هذا فما أخرها عن أن تكون اما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها (اليوم يبدو بعضه او كله) تكرمة من الله لنبيه وعلما منه بغيرته والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء — فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ماجاءوا به من الحل من الطعام « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة فى غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادى فى خزانة الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهلى وكان له جار من خزاعة اسمه خاطم فقتله زهير اللحيانى وقتلوا امرأته فلما برئ أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال

انى امرؤ أبكي على جاريه   أبكى على الكعبى والكعبيه

ولو هلكت بكيا عليه   كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج فى الخلعاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بنى لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى لحيان فى العرج فقتل فيهم وسبي من نسائهم وذراريهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لماذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى . قال أبو هريرة فأمرنى على أن أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى(١) فقيل له بم كنت تنادى فقال بأربع : لايدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لاعهد له — وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى ستروت بعد الاربعة اشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن

(١) صحل صوته بح . رووا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لاتعتد برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس فى تلك المدة رغبوا فى الاســلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها وحج رسول الله فى العام القابل وحج المسلمون وقــد عاد الدين كله لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنســبة للطواف فى ثيابهم الى حلة وحمس قال محمد بن حبيب ـ وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن طلسا من الغبار فيطوفون البيت فى تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل(١) فى الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع(٢) فيــه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبى رمل و ندب أصحابه اليه لاظهار الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اصطفت كفار قريش عند دار الندوة ينظرون له ولاصحابه ويستضعفونهم ويقولون أوهنتهم حمى يثرب فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه ورمل . ومقتضاه عــدم سنيته بعد أن أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سنيته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا وكذا أصحابه رملوا من بعده وكذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا فى الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبى طالب

واشواط بين المروتين الى الصفا   وما فيهما من صورة وتماثل(١)

وكان على الصــفا اساف وعلى المروة نائلة ــ وهما صنمان فكانوا يسعون بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحى نصب مناة بالمشلل مما يلى قديدا

(١) الرمل الهرولة فى السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويبــدى منكبه الايمن ويغطى الايسر سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضبعين وهما العضدان

(١) ثنى المروة وهى واحــدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق عشــية سال المربدان كلاهما ــ وانما هو مربد البصرة وقولهم تسألنى برامتين سلجما والعرب يشيرون بالتثنية الى جانبى المكان المثنى أو الى أعلاه وأسفله فيجعلونها اثنين على هذا المغزى و(تماثل) جمع تمثال وأصله تماثيل فحذف الياء

وكانت الازد والانصار وغسان تهل لها بالحج وكان من أهل لمناة لايحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) .
وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالى الا أطوف بينهما . قالت بئس ما قلت يا ابن أختي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التى بالمشلل لايطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عزوجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » ولو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه ألاّ يطوف بهما . قال الزهرى : فذكرت ذلك لابى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف ونائلة فى الالوهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يجيزوا لمن أهل لمناة ان يسعى بينهما ويتمسح باساف ونائلة المنصوبين عليهما

وكانوا يقفون فى الجاهلية بعرفة فى الحج قال العدوى

واقسم بالبيت الذى حجت له   قريش وموقف ذى الحجيج الال (١)

وقول النابغة الذبيانى

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع (٢)
بمصطحبات من لصاف وثبرة   يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)

وقال أبو طالب

---

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمى بذلك لان الحجيج اذا رأوه ألوا فى السير أى اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصاف وثبرة موضعان اقسم بالابل التى يمتطيها الحجاج الى مكة تعظيما لها و (سيرهن التدافع) اى من الاعياء يعنى يتحاملن تحاملا من الجهد والتعب

و بالمشعر الاقصى اذا عمـدوا له الال الى مفضى الشراج القوابل(١)

وكان وقوفهم يوم تاسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى الحمس تقف بالمشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة يقال له قزح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس فقد قالت قريش نحن ولاة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شيء من الحل كتعظيم الحرم لئلا تستخف العرب بحرمتنا وتركوا لذلك الوقوف بعرفة والافاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والافاضة منها ولما حج النبي عليـه السـلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهـم ولا يتجاوزه فتجاوزه الى عرفات

وأنزل الله فى ابطال ما أحدث الحمس من ترك الوقوف بعرفه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه فى الجاهلية من صنع الحمس ووفقه لدين ابراهيم . روى مسـلم فى صحيحـه عن جبير بن مطعم قال أضللت بعيرا لى فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم واقفا مع الناس بعرفة (٤) فقلت والله ان هذا لمن الحمس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش تعد من الحمس

وكانوا يدفعون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله البالغة . (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بد له

---

(١) المشـعر الاقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل و(الشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء و(مفضى الشراج) مجمعها و(القوابل) المتقابلة كناية عن اجتماع الناس فى مكان واحد وهو عرفة (٢) قيل أن المشعر الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب فى أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى تـكليفهم بالوقوف عليه ليمكن الافاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجات النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من تعيين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذى يلى الاجازة للناس بالحج من عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انما ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من جرهم كانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاول مع اخواله من جرهم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . قال مر بن أد يذكر ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ۞ ربيطة بمكة العلية (٢)
فباركن لى بها اليه ۞ واجعله لى من صالح البريه

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه ۞ ان كان اثم فعلى قضاعه

قال السهيلى « وانما خص قضاعة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر الحرم كما كانت خثعم وطئ تفعل . وكذلك كانت النسأة تقول اذا حرمت صفرا أو غيره من الاشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

---

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلبى . انما سمى الغوث ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطا للكعبة ففعلت فقيل له صوفة ولولده وهو الربيط — وقيل ان أم الغوث لما ولدته وكانت نذرت ان ولدت غلاما لتعبدنه للكعبة ربطته عند البيت فأصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار ابى الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين » فلما انقرض بنو الغوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وكانت الاجازة فى آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى

لايبرح الناس ماحجوا معرفهم(١) حتى يقال أجيزوا آل صفوانا
مجد بناه لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا

وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضا كما سنذكره

(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة فى الحج باتوا ليلة بمزدلفة قال أبو طالب

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل(٢)

والمبيت بمزدلفة سنة قديمة فى العرب وكانوا فى الجاهلية يوقدون ناراً على قزح وهو جبل بمزدلفة ليراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما قال السيوطى وغيره قصى بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن وكانت الافاضة من المزدلفة فى عدوان لايدفع الحاج منها حتى يجيزهم رجل من عدوان بن عمرو ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفى أجازتهم يقول ذو الاصبع العدوانى

ومنهم من يجيز النا س بالسنة والفرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم تزل فيهم يتوارثونها حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل(٣)

---

(١) المعرف الموقف بعرفات وفى رواية : ولايريمون فى التعريف موقفهم

(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هى المزدلفة سميت بذلك من التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أى تقربوا قال النووى . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين الصلاتين كانتا فى الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابى اسمه

أحد بنى وايش بن زيدبن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمارله اسود أجاز الناس عليه اربعين سنة حتى ضرب المثل به فقيل (أصح من عيرأبى سيارة) وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيـه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سيارة(١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حمـاره مستقبل القبلة يدعو جاره (٣)

وكانت اجازته أن يتقدمهم على حماره ثم يخطبهم فيقول

لا هم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاعه (٤)
لا هم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجلعد فق أبا سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد(٦)

اللهم حبب بين نسائنا ــ وعاد بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أوفوا بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كيما نغير ــ ثم ينفر ويتبعـه الناس . حكى ذلك الميدانى فى مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو الشيبانى والكلبى وقد جمعنا بين أقوالهم

وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كيما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة تطلع عليه الشمس قبل كل موضع أى ادخل ياثبير فى الشروق كيما نسرع للنحر ولم يقرهم الاسلام على ذلك ففى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبح ثم وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) روايه : خلوا السبيل عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه أى مجيرا (٤) لان من قضاعة محلين (٥) الكيد المكروه و (الجلعد) الصلب الشديد و (فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

ثبير وان النبى صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون

فقد كانوا اذا حجوا ساقوا الهدى فان كان من الابل قلدوها النعال وألبسوها الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد الا المحلين من طيء وخثعم قال عارق الطائى وهو جاهلى يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته يخب بصحراء الغبيط درادقة (٢)

لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لانتحين العظم ذوانا عارقه (٣)

يقول حلفت أيها الملك بقرابين الحرم وقد أعلمت بكراتها بعلامة الاهداء يسرع بصحراء ذلك الموضع صغارها لئن لم تتدارك مافاتنا من عدلك لاميلن على كسر العظم الذى أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أكسر عظمكم ان لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدى البدن الى البيت على ماذكره السيوطى الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو علقمة الفحل

حلفت بما ضم الحجيج الى منى وما ثج من نحر الهدى المقلد (٤)

وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فقيل للشنفرى هذا قاتل أبيك

(١) التقليد أن تقلد فى عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لتصان به و (الاشعار) أن يطعن السنام فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى مايهدى الى الحرم من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته) جمع بكرة وهى الشابة من الابل و (يخب) من الخبب وهو خطو فسيح . والباء من بصحراء بمعنى فى و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر وهى صغار الابل والضمير فى بكراته ودرادقه للهدى (٣) وانتحين من الانتحاء للشيء وهو التعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم أكلت ما عليه من اللحم (٤) الثج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى الى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجليه وقال

قتلت حراما مهديا بملبد ببطن منى وسط الحجيج المصوت

وقال أبو قيس بن الاسلت من قصيدة يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول الله ويذكر فضلهم وأحلامهم

ترى طالب الحاجات عند بيوتكم عصائب هلكى تهتدى لعصائب

لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباجب

قال البرقى الجباجب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب تفتخر بها وتعظمها

وكانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا وشاهده ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه الهدى سبعين بدنة وقد جللها وأشعرها وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها وليس معهم الا السيوف فى القرب فسمعت قريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم وعاهدوا الله الا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبدا ونزل رسول الله بالحديبية وهى على تسعة أميال من مكة فأرسلت اليه قريش رسلا تطلب منه الانصراف عن مكة عامه فممن بعثوا لذلك الحليس بن علقمة وكان يتأله — والمتأله المعظم لأمر الله كالحج والعمرة ونحو ذلك مما بقى عندهم من دين ابراهيم عليه السلام فلما رآه رسول الله قال لاصحابه هـذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى بقلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ورجع الى قريش ولم يأت رسول الله اعظاما لما رأى وصاح قائلا هلكت قريش ورب الكعبة أن القوم انما أتوا عمارا وقال لاصحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقول الحليس هذا يدل على انهم كانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا وكانوا يحلقون رؤوسهم بمنى قال الشاعر

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشترى بالدراهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رءوس رجال حلقت بالمواسم(١)

وقال زهير بن أبى سلمى

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى وماسحقت فيه المقادم والقَمل (٢)

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طفل (٣)

وذكر صاحب تاج العروس فى مادة (ق ر ر) ان ابن الكلبى قال عيرت هوازن و بنو أسد بأكل القرة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقوا رءوسهم بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقوا رءوسهم سقط الشعر مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد و قيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر و ينتفعون بالدقيق قال الشاعر

ألم تر جرما أنجدت وأبوكم مع الشعر فى قص الملبد شارع

اذاقرة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع

ولم تكن العرب قاطبة تحلق رءوسها فى منى وشاهده قول ابى المنذر « ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رءوسهم فاذا نفروا أتوا مناة فحلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك . فلاعظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وديعة المزنى أو غيره من العرب

انى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج فلذلك يقول عند محل آل الخزرج »

وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

---

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها و (سحقت) حلقت . يقال سحق رأسه وسبته وحلطه حلقه ويروى سحفت بالفاء ومعناه حلقت و(المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله (الا أن يعرجنى طفل) أراد الا أن تلقى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها   يؤمون قذفا رأسها بالجنادل

وقال الهذلى

لأدركهم شعث النواصى كأنهم   سوابق حجاج توافى المجمرا (١)

قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبي العقبة فحبسوا الناس وقالوا أجيزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم فى ذلك آل صفوان بن جناب بن شجنة » وقد أقر قصى ابن كلاب لما غلب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنسأة على ما كانوا عليه لانه كان يراه دينا . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم فى الجاهلية وفعال آبائهم فيقول الرجل منهم كان أبى يطعم الطعام ويحمل الحمالات والديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فنهى الله عن ذلك فى قوله « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا »

ثم يختمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان محرما فى الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربى أن قريشاً وبنى كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أيضا ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) المجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التي على ساحل البحر مما يلي قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهلها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية في الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا لبيك . والخير كله بيديك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك
أخو بنات بفدك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفدك يومئذ فيها اصنام وكقولهم

لبيك يا معطي الأمر (٢) لبيك عن بني النمر
جئناك في العام الزمر (٣) نأمل غيثا ينهمر
يطرق بالسيل الخمر (٣)

ومنها من منهوك المنسرح كقولهم

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئناك نبغي الاحسان بكل حرف مذعان (٤)
نطوى اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيله الفخمة الرجيله (٥)
ونعمت القبيله جاءتك بالوسيله
تؤمل الفضيلة

---

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فدك) قرية بخيبر (٢) الامر ككتف المبارك (٣) الزمر ككتف القليل الشعر والصوف (٤) الخمر ما وارك من شجر وغيره (٤) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و (ناقة مذعان) منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

ورووا فى تلبية بكر بن وائل

لبيك حقا حقا   تعبداً ورقا

جئناك للنصاحه   لم نأت للرقاحة (١)

ورووا فى تلبية تميم

لبيك لولا ان بكرا دونكا   يشكرك الناس ويكفرونكا

ما زال منا عثج يأتونكا (٢)

ورووا فى تلبية همدان

لبيك من كل قبيل لبوك (٣)   همدان أبناء الملوك تدعوك

قد تركوا أصنامهم وانتابوك   فاسمع دعاء فى جميع الاملوك (٤)

ومن التلبية قولهم

لبيك عن سعد وعن بنيها   وعن نساء خلفها تعنيها

سارت الى الرحمة تجتنيها

(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب فى الجاهلية تعتمر وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد فى الجاهلية منعه العاص بن وائل ثمن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته   ببطن مكة نائى الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته   يا للرجال وبين الحجر والحجر

أقائم من بنى سهم بذمتهم   أم ذاهب فى ضلال مال معتمر

وغالب اعتمارهم فى شهر رجب كما شرع حينئذ فى دين ابراهيم ولذلك جعل الله رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة فى أشهر الحج من أعظم الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة فى أشهر

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العثج الجماعة من الناس (٣) لبوك أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملكاء وملاك وملك كركع و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أفجر الفجور فى الارض وكانوا يسمون المحرم صفرا (١) ويقولون اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاظم ذلك عندهم فقالوا يارسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عميا (رجل من عدوان وقيل من اياد وكان فقيه العرب فى الجاهلية ويفتى فى الحج) أقبل معتمرا ومعه ركب فنزلوا بعض المنازل فى يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد فى ذلك الوقت . فقال فى ذلك كرب بن جبيلة العدوانى

وصك بها نحر الظهيرة صكة   عمى ولا يبغين الا ظلالها (٨)
وجئن على ذات الصفاح كأنها   نعام تبغى بالشطى رئالها (٩)
فطوفن بالبيت الحرام وقضيت   مناسكها ولم تحل عقالها

وقد قدمنا فى الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا

قال ابن الاثير فى الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

---

(١) هو النسىء وتقدم (٢) برأ نقه و(الدبر) الجرح الذى يكون فى ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومشقة السفر وكان يبرأ بعد انصرافهم من الحج (٣) (عفا الاثر) أى درس وامحى أثر الابل وغيرها فى سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابى المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم فى نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن يجعلوا الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج . (٧) سألوا أهو الحل العام لكل ماحرم بالاحرام حتى قربان النساء فأجابهم النبى بانه الحل العام لكل ماحرم به (٨) عمى تصغير أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به و (نحر الظهيرة أولها)
(٩) الرئال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف(١) النخل

الطهارة - الصلاة - الزكاة - الصوم — الاعتكاف

كانوا يتطهرون من الحدث الاصغر والاكبر فى الجاهلية ويصلون ويزكون ويصومون ويعتكفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم . وكانت تفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالغسل فشاهدها ماذكره الزجاجى فى أماليه قال (وكان الحنيف فى الجاهليــة من كان يحج البيت ويغتسل من الجنابة ويغسل موتاه ويختتن فلما جاء الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب الغسل عنــدهم الجنابة والحيض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على الاغتسال عند انقطاع الحيض ماروى أن عمرة بنت سبيــع كانت مع زوجها فى ســفر وكانت حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لغسلها وأنفــدت الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلمته التى جرت مثلا . وفيها قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها ولا هى من ماء العذابة طاهر (٢)

وقال المخبل

ان قشيرا من لقاح بن حازم كغاسلة حيضا وليست بطاهر

والغسل والوضوء فيهم من آثار الاديان السماوية التى أقرها الاسلام . ولقد تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة فى القول بموجب الوضوء عندهم وكلام السهيلى يقتضى خــلافه فانه كتب على قول ابن هشام فى غزوة السويق ان أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا مانصه (فى هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح ولذلك سموها جنابة وقالوا رجــل جنب وقوم جنب لمجانبتهم فى تلك الحال

---

(١) الــكرانيف جمع كرناف بضم الكاف وكسرها وهى أصول السعف الغلاظ العراض تبقى فى الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة فى القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره — وأما الحدث الاصغر وهو الموجب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجيء من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج فى أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة » .

وأما الصلاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وكان قيس بن ساعدة الايادى يصلى . والمحفوظ من الصلاة فى أمم اليهود والمجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر يا ابن أخى صليت سنتين قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهنى الله

وكان منهم من يستقبل الكعبة فى صلاته كشرع ابراهيم واسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقى زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حرا فقال ياعامر انى قد فارقت قومى واتبعت ملة ابراهيم وما كان يعبد اسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهانى فى الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة فى صلاته ويقول يا مولاى :

لبيك حقا حقا تعبدا ورقا

البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال

عذت بما عاذ به ابراهم مستقبل الكعبة وهو قائم

يقول أنفى لك عان راغم مهما تجشمنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا فى سر مشروعية استقبال الكعبة فى الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عنـد العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب فى الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة فى نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعادته . قالت خديجة لرسول الله حين بدئ بالوحى . فوالله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبى بكر » هذا ولاشك ان هذه الشمائل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لايخزيك الله أى لفعلك ما أمر به وفى رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانيـة التى وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم فى الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد ذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء وشاهده مارواه مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشـة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

---

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالانفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التى تكون فى الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى و بنى اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه . قال النووى . وكان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود فى الجاهلية وتتخذه عيدا ويلبسون نساءهم اللباس الحسن والحلى

قال المرحوم محمود باشا الفلكى فى كتابه نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام « وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين ذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم أو هو التاسع منه كما يقول ابن عباس . فكيف يكون فى ربيع الاول . وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق أنه فى ذلك الزمن أى زمن قدومه صلى الله عليه وسلم كان وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يؤيد ذلك ما فى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : ليس يوم عاشوراء الذى يقول الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله . وكان يدور فى السنة . وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات أتوا زيد بن ثابت فسألوه » ثم نقل عن البيرونى فى كتاب الآثار انه قال « وقد قيل أن عاشوراء عبرانى معرب عاشور وهو العاشر من تشرى اليهود الذى صومه صوم الكبور وأنه اعتبر فى شهور العرب فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود » ثم قال فمن جميع ما ذكر ينتج أن النبي دخل المدينة فى ١٠ تشرى وقد فرض فى التوراة صوم هذا اليوم واختلف الرواة وأصحاب السير فى يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة أهو اليوم الثانى أم الثامن أم الثانى عشر من ربيع الاول كما أنهم اتفقوا على أن هذا اليوم كان يوم الاثنين (١) وعندى أن أرجح

---

(١) دعواه الاتفاق ممنوعة فقد حكى السهيلى أن ابن الكلبى قال . خرج عليه السلام من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة

هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين. وحيث أن الحساب لا يؤدى البتة الى أن الثانى أو الثانى عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة. وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبى عليه الصلاة والسلام المدينة كان فى يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليقة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم فى صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يارسول الله انى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال . فأوف بنذرك

وكذلك كانت تعد المجاورة قربة . لما رواه عبيد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور فى حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية والتحنث التبرر (١) وشاهده قول أبى طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق لبر فى حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء للتعبد فيه وبالنازل منه

وكان من عادة النبى صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبدأ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول مانزل عليه الوحى كان بحراء فى جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتى عشرة منه (١) العرب تقول التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون بالفاء الثاء وتفعل تقتضى الدخول فى الفعل وهو الاكثر فتحنث وتبرر بمعنى دخل فى الحنيفية وفى البر (٢) ثور وثبير جبلان من جبال مكة . وفى البيت رواية لابن هشام وهى وراق ليرقى فى حراء ونازل ولان الراقى لا يرقى قال السهيلى وأصح الروايتين وراق لبر فى حراء ونازل قال البرقى هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه ليكشف ما نزل بهم من البلاء وكانوا كثيرا مايستمطرون في الاماكن المطهرة طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعته

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد ذكر أن عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد . وكان مسلماً يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ولقمان بن عاد فى سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء ملأها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ مرت به فأهلكهم الله بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بهلاك قومهم . وفى ذلك يقول عباس بن مرداس السلمى

في كل عام لنا وفد نسيرهم ... نختارهم حسبا منا وأحلاما
كانوا كوفد بنى عاد أضلهم ... قيل فأتبع عام منهم عاما
عادوا فلم يجدوا فى أرض قومهم ... الا مغانيهم قفرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم فى الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة والبلاغة . فمن ذلك ماحدث به مخرمة بن نوفل قال : سمعت أمى رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب قالت تتابعت على قريش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فبينما أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا

(١) اللدة الترب بكسر التاء أى النظير فى السن (٢) أمحلت أقحطت (٣) أقحلت أيبست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صحل (٢) أقشعرله جلدى يقول : يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم (٣) أيامه وهذا أوانه وابان نجومه (٤) فحيهلا بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا عظاما أبيض بضا أوطف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم العرنين (٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعا وليرتقوا أبا قبيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغثتم (١٣) اذا شئتم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قد قف لها جلدى ووله عقلى (١٤) فاقتصصت رؤياى فنمت (١٥) فى شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما سمع بها أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد عبد المطلب (١٦) وتتامت اليه رجالات قريش

---

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحة (٣) أظل دنا وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حيهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسبا أى أكرمهم وأشرفهم و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلىء وفى رواية أوطف الاهداب و (الاوطف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعر أشفار العيون مفرده هدب (٧) سهل الخدين قليل لحمهما (٨) شمم العرنين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تعزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من بطون العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسين المهملة صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غثتم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و (مفراة) بالفاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و (قف جلده) يبس ويروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم فشت ومنه النمام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ماصغر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض(١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا الركن واطوفوا ثم ارتقوا أباقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك سعيهم مهلة حتى يحلوا ذروته واستكفوا جنابته (٣) ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد الخلة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل (٦) وهذه عبادك واماؤك بعذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التى أذهبت الخف وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مغدقا ودقا (٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه (١٠) فسمعت شيخان قريش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء اذ عاش بك أهل البطحاء وفى ذلك تقول رقيقة بنت أبى صيفى تمدحه عليه الصلاة والسلام

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا　　وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر (١٢)

و(الحرم) حرم مكة و (الابطحى) هو القرشى من مكة خاصة و(شيبة الحمد) هو عبد المطلب(١) تتامت اجتمعت و(انقض) أسرع (٢) طفق دام و(يدفون) يتداولون (٣) ذروة كل شئ أعلاه و (استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه و(جنابته) ناحيته (٤) أيفع الغلام قارب الاحتلام و (كرب) من أفعال المقاربة والمعنى أوقارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد. ويروى عبداؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و (بعذرات حرمك) أى بافنائه (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلهما كالقدم للانسان و(الخف) للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى مخصبا و(المغدق الكثير القطر و(الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و(كظ) الوادى أى ضاق بالماء لكثرته و (ثجيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من استبانت فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى الثمانين و(جلتها) عظماؤها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و (اجلوذ)

فجاد بالماء جونى له سبل   داذفعاش به الانعام والشجر (١)
منا من الله بالميمون طائره   وخير من بشرت يوما به مضر (٢)
مبارك الامر يستسقى الغمام به   مافى الانام له عدل ولا خطر (٣)

وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيعا . وذلك أن قريشا أجدبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر المصطفى وهو رضيع فى قماط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاطلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفى ذلك يقول عمه أبو طالب فى قصيدته اللامية

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)
يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥)   فهم عنده فى نعمة وفواضل

ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسنذكر خبر خولان وتوسلهم لصنمهم عميانس بالذبائح ليسقوا .

ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا عليه من البقر وعقدوا فى أذنابها وبين عراقيبها حزما من السلع والعشر (٦) وأوقدوا فيها النار وأصعدوها فى جبل وعر وفرقوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجون الابيض والاسود وهو من الاضداد و(السبل) المطر (٢) من عليه أنعم و (الميمون طائره) أى السعيد حظه و(مضر) قبيلة من العرب (٣) فى رواية مبارك الكف و(الغمام) سحاب المطر و(الانام) الخلق و(العدل) بالكسر مثل الشيء و(لاخطر) أى لامثل له فى علوه (٤) قدعبر عن الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و (الثمال) العماد والملجأ والمطعم والمغنى والكافى و (العصمة) مايعتصم به ويتمسك (٥) فى رواية يلوذ به الهلاك و(الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا لمعروفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتحتين و (العشر) بضم ففتح ضربان من الشجر

وساقوا البقر الى ناحيــة المغرب دون سائرا الجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج النيران يستجلبون بذلك رحمته وفى ذلك يقول أمية بن أبى الصلت

سنة أزمة تبرح بالنـا س ترى للعضاه فيها صريرا (١)
لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحرورا (٢)
اذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
ويسوقون باقر السهل للطو د مهازيل خشية أن تبورا (٤)
عاقدين النيران فى ثكن الاذ ناب منها لكى تهيج البحورا
فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى صبير صبيرا (٥)
فرآها الاله ترسم بالقطـ ـر وأمسى جنابهم ممطورا (٦)
سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧)

(١) أزمة أى شديدة وفى رواية سنة جدبة و (تبرح بالناس) تصيبهم بشدة الاذى و (العضاه) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الخمط أو كل ذات شوك و (الصرير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و (ريح الجنوب) هى التى تخالف الشمال ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ــ مافى السماء (طحرور) وطحرورة أى لطخ من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و (الفطير) من العجين ما اختبز من ساعته ولم تخمره (٤) الباقر البقر و (الطود) الجبل أو عظيمه و (تبور) تهلك (٥) الصبير السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يصير بعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و (الجناب) الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و (البيقور) البقر و (عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

يا كحل قد أثقلت أذناب البقر   بسلع يعقد فيها وعشر

فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار بالنار قال الشاعر

شفعنا بيقور الى هاطل الحيا   فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا

فعدنا الى رب الحيا فأجادنا   وصير جدب الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبنى نهشل أصحاب الحور   أتطلبون الغيث جهلا بالبقر

وسلع من بعد ذاك وعشر   ليس بذا يجلل الارض المطر

وقال الورل الطائى يعيبهم أيضا .

لا در در رجال خاب سعيهم   يستمطرون لدى الازمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة   ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبى الحديد « وانما أضرموا النيران فى أذناب البقر تفاؤلا للبرق بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا فى مذاهبها مذاهب ملة أخرى وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها فى الارض وأن لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأخثائها ويغسلون الوجوه ببولها ويجعلونها مهور نسائهم ويتبركون بها فى جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو وانتهجوا هذا المسلك » وللبقر عند قدماء المصريين أسمى المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا فى الامطار وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمريكا انزال المطر بالدخان المتكاثف فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه وغالتهم غول يعنى المنية »

(النذر)

كانوا فى الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو النذر و يتمدحون بالوفاء به قال عنترة العبسى فى معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر   للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما   والناذرين اذا لم ألقهما دمى

وقال زهير

قد أشهد الشارب المعذّل لا   معروفه منكر ولا حصر (١)
فى فتية لينى المآزر لا   ينسون أحلامهم اذا سكروا
يشوون للضيف والعفاة ويو   فون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما نذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا ينذرون لاصنامهم أو للانتقام أو لغير ذلك من الاغراض المختلفة التى لا يمكن استقصاؤها ولنذكر أمثلة منها

فى صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يارسول الله انى نذرت فى الجاهلية أن اعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال فأوف بنذرك

ومنها ماروى أن الحكم بن عبد يغوث المنقرى نذر ليذبحن مهاة على الغبغب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أياما فلم يمكنه فكان يرجع مخفقا حتى هم بقتل نفسه مكانها فقال له ابنه مطعم احملنى أرفدك فقال ما احمل من رعش رهل (٤) جبان فشل فمازال به حتى حمله فرمى الحكم مهاتين فاخطأهما فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

---

(١) المعذل كمعظم من يعذل لافراط جوده و (الحصر) البخل والعىّ فى المنطق
(٢) العافى الضيف وكل طالب فضل أو رزق   (٣) المهاة البقرة الوحشية (والغبغب) منحر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها   (٤) الارفاد الاعانه و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم من غير داء

فضربت مثلا فى فلتة احسان من المسئ

ومنها أن الغوث بن مر بن أد بن طابخة كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطا للكعبة فلما عاش لها الغوث وفت بنذرها فسمى صوفة وكان له ولولده الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلى « اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن فى الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها ان تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفى هؤلاء الابناء الذين تهودوا نزلت (لا اكراه فى الدين) حين أراد آباؤهم اكراههم على الاسلام فى أحد الاقوال »

ومن ذلك ماروى ان عاصم بن ثابت بن ابى الاقلح قتل فى غروة احد من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم فيأتى امه سلافة فتضع رأسه فى حجرها وتقول يابنى من أصابك . فيقول سمعت رجلا يقول حين رمانى خذها وأنا ابن أبى الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزمو قريش من بدر نذر الا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا

ومنها ماكان من عبدالمطلب بن هاشم فانه حين لقى من قريش مالقى عند حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبه فلما بلغ بنوه عشرة وعرف انهم مانعوه جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه فجعل لكل قدحا وكتب عليه اسمه وضرب القداح سادن هبل عنده فخرج قدح عبدالله فهم بذبحه فقامت قريش وقالوا لا تذبحه ابدا حتى نعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها وقص عليها أمره أمرته أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الابل فان خرج قدح عبد الله زاد الابل عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الابل فعاد الى مكة وضرب القداح وما زال يزيد الابل حتى بلغت مائة فخرج القدح عليها فذبحوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين وثانيهما اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

ومن نذورهم السائبة ان أحدهم كان اذا نزل به المكروه ينذر ان رفع عنه ان يسيب ناقته . فاذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلأ . وقد يسيبون غير الناقة . وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن نذورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا فى الجاهلية والاسلام فقد نذر فى الجاهلية الا تهب الصبا الانحر وأطعم . وهبت الصبا يوما وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبى معيط وكان أميرا عليها لعثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه فى الجاهلية ألا تهب الصبا الا أطعم وألزم نفسه ذلك فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمائة بكرة . وبعث الناس اليه فقضى نذره وكتب اليه الوليد

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ... اذا هبت رياح أبى عقيل
أغر الوجه أبيض عامرى ... طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بحلفتيه ... على العلات والمال القليل (١)
بنحر الكوم اذ سحبت عليه ... ذيول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد أرانى ولا أعيا بجواب شاعر فانشأت تقول

اذا هبت رياح أبى عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا
أغر الوجه أبيض عبشميا ... أعان على مروءته لبيدا

---

(١) على علاته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الابل

بأمثال الهضاب كان ركبا　　عليها من بنى حام قعودا (١)
أبا وهب جزاك الله خيرا　　نحرناها وأطعمنا الوليدا
فمد ان الكريم له معاد　　وظنى يا ابن أروى أن تعودا

فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل

ذبح الظبى فى نذر الشاة — كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان خلصت منه لاذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضن بما نذر لان من ألبانها غذاؤه وكره عدم الوفا فاستبقى الغنم وذبح من الظباء التى يصيدها بعدد ما نذر من الغنم وقال الظباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك القربان شاء كله مما يصيد من الظباء . قال الحارث بن حلزة

عنتا باطلا وظلما كما تعـ　　ـتر عن حجرة الربيض الظباء (٢)
أعلينا جناح كندة أن　　يغنم غازيهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبح فى رجب وكانت العرب تنذره لآلهتها فيقول قائلهم ان رزقنى الله خمسين شاة ذبحت منها فى رجب واحدة مثلا ويسمى هذ الذبح العتيرة والرجبية — ومعنى البيتين انكم الزمتمونا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما يذبح الظبى لحق وجب فى الغنم وقال الرماح فى تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه　　عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)

وقال كعب بن زهير فى رثاء جوى المزنى وهى من أبيات الحماسة

لنذرك والنذور لها وفاء　　اذا بلغ الخزاية بالغوها

---

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهى الجبل و(حام) هو ابن نوح أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية والمراد بها هنا موضع الغنم و (الربيض) الغنم برعاتها المجتمعة فى مرابضها

(٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و (الجسد) الدم اليابس والزعفران واذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و (العتائر) الذبائح واضافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية . والهدى المذبح المظلوم هو الظباء المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)
فما عتر الظباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها

والمعنى انا وفينا ولم نقنع فى أخذ ثأرك بشئ يغنى عما ندرته كما تذبح الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جويا المزنى مر على الاوس والخزرج وهم يقتتلون والاوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب فمر به ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هـذا المطرح فوالله انك من قوم ما يحمونك فرفع جوى رأسه اليـه وهو يجود بنفسه فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت كلمتـه قومه فوفوا له بما قال ـ فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل (أفرع بالظبى وفى المعزى دثر) الباء فى بالظبى زائدة أى ذبح الظبى وفى المعزى كثرة ـــ يضرب مثلا لمن له اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

نذكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء الغسل سدرا ونحوه ثم نتبع ذلك تتميما للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بنائه وغير ذلك

نعى الموتى ـ قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا أى انعه وأظهر خبر وفاته وهذا هو الناعى المراد بقول المتنخل الهذلى

---

(١) بزت الثياب سلبت

أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل (١)
رمح لنا كان لم يفلل ننوء به توفى به الحرب والعزاء والجلل (٢)

وقول أعشى باهلة يرثى أخاه لامه المنتشر

انى أتتنى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر (٣)
فظلت مكتئباً حران أندبه وكنت ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
يأتى على الناس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
ان الذى جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهى والغير
ينعى امرأ لا تغب الحى جفنته اذا الكواكب اخطأ نوءها المطر (٦)

والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الناس بالواجب عليهم نحو هذه المصيبة ولتعزية أهل الميت

---

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديدة الرمح الذى يطعن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضمير كان يرجع الى المرثى وجملة (لم يفلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يثلم من الفل بفتح الفاء واحد الفلول وهى كسور فى الشىء و (ننوء به) أى ننهض به يقال ناء بكذا أى نهض به مثقلا و (توفى به الحرب) أى تعلى به وتقهر وهو بالفاء وروى بالقاف أيضا من الوقاية و (العزاء) بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة السنة الشديدة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع جلى وهو الامر الجليل العظيم مثل كبرى وكبر وصغرى وصغر (٣) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضمتين — والمعنى أتانى خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت) القوم جفنته جاءتهم يوما وتركت يوما كغب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق — والعرب كانت تنسب نزول المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم فى الجاهلية . قال الافوه الاودى

ألا عللانى واعلما اننى غرر فما قلت ينجينى الشقاق ولا الحذر (١)
وما قلت يجدينى ثوابى اذا بدت مفاصل أوصالى وقد شخص البصر (٢)
وجاءوا بماء بارد يغسلوننى فيالك من غسل سيتبعه غبر

وفى الاغانى أن أبا لهب لمامات بالعدسة تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنانه حتى أنتن فى بيته . وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تخشى عدواها حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان ان أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيبانه فقالا نخشى هذه القرحة قال : فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة

وكانوا يضعون فى ماء الغسل مايساعد على النظافة من سدر أو اشنان . ويغسلون بالسدر ونحوه رءوسهم ولحاهم وشاهده قول امرىء القيس لما أخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسامن بنى آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الاملاك فى ديار بنى مرين

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن فى الدماء مزملينا (٣)

وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك

تحنيط الميت كانوا بعد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت

وذكروا أن منشما كانت امرأة تبيع الحنوط فى الجاهلية . فقيل للقوم

(١) الغرر بالنفس التعريض للخطر ـ مصدر يراد به اسم المفعول
(٢) والاوصال المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فتح عينيه وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق النبق وفى رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل و (تزمل) تلفف

اذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم أرادوا بذلك طيب الموتى وروى ان أول من طيب الموتى بالحنوط مقسم بن مهر القضاعى

كفن الميت كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة الايادى .

يا باكي الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق(٢)
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصعق

وقال عنترة العبسى

وأحمى حمى قومى على طول مدتى الى أن أرانى فى اللفائف أدرج (٣)

وقال حجية بن المضرب يخاطب النعمان بن المنذر

ان كان ما بلغت عنى فلامنى صديقى وشلت من يدى الانامل
وكفنت وحدى منذرا فى ردائه وصادف حوطا من أعادى قاتل(٤)

وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم فنذروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجية بن المضرب وكانت أخته فكيهة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة . فنذر بنو تميم بالنعمان فهزموه (٥) فاتهم النعمان حجية أن يكون أنذرهم فقال البيتين

وكانوا يكفنون الميت فى ثوب ثمين النسيج اذا كان عظيما . وشاهده ما يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة اذا أصبتنى أو دريدا فقد أصبت ثارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم فى بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجدث القبر و (البز) الثياب (٣) اللفافة ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لفائف يراد بها هنا الكفن
(٤) قوله وكفنت وحدى منذرا : أى أكون غريبا لا أجد معينا وقوله فى ردائه أى لا أجد كفنا يليق به و (المنذر) أخو حجية الشاعر و (حوط) ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشىء كفرح علمه فحذره و (انذره بالامر) أعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة قال : فأروني قبره . فأروه اياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال ؟ كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي . فوالله ما بت مذعقلت الا واترا أو موتورا أو طالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فابكين سيد قومه واندبنه شدت عليه قباطي الا كفان (١)

وقد جاء ذكر الحنوط وترجيل الشعر والكفن في شعر يزيد بن حذاق قال ابن قتيبة انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره حيث قال

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثيابا غير أخلاق
وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرجوني كأني طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح القبر أطباقي
وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق
هون عليك ولا تولع باشفاق فانما مالنا للوارث الباقي

وجاء الشرع الاسلامي فأقر تحنيط الميت وتكفينه وكره تسريح شعره

الصلاة على الميت - كانوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره اذ يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه . قال رجل من كلب في الجاهلية لابن ابن له

اعمرو ان هلكت وكنت حيا فاني مكثر لك من صلاتي

قيل وأول من صلى في الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكي .

ومن بليغ ما ورد من ذلك في الاسلام ما ذكره الحرمازي وغيره من ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير الى قتال المختار فلما دفن قامت امرأة على قبره من بني منقر فقالت : لله درك من مجن في جنن ومدرج في كفن فنسأل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك

(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس كالدهري جمعه قباطي بالتشديد وقباطي بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله في بلاده شهود على عباده وانا قائلون حقا ومثنون صدقا . وهو أهل لحسن الثناء وطيب الدعاء ثم اقبلت على القبر فقالت : اما والذى كنت من أجله في عدة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذى رفع عملك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميدا مودودا ولقد مت فقيدا سعيدا وان كنت لعظيم السلم فاضل الحلم وان كنت من الرجال لشريفا وعلى الارامل عطوفا وفي العشيرة مسودا والى الخلفاء موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين . فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها

سرير الميت — كانوا يحملون الميت اما على الحرج وهو خشب يشد بعضه الى بعض قال امرؤ القيس

فاما تريني في رحالة جابر على حرج كالقر تخفق أكفاني(١)

وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيدة في المخصص . وعلى اختصاص المرأة بالنعش فأول امرأة حملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه القلقشندى في صبح الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى مايقتضى ان أول امرأة حملت في نعش هي فاطمة بنت رسول الله وذلك انها بعد وفاة أبيها كمدت سبعين بين يوم وليلة فقالت : لأسماء بنت عميس انى لا ستحيي من جلالة جسمي اذا أخرجت على الرجال غدا وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة :

---

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضا وجابر من بني تغلب وكان هو وعمرو بن قميئة يحملانه و (الحرج) خشب يحمل فيه الموتى و (القر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ماأحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل . فاذا أنا مت فاغسليني أنت وعلى ولا ندخلي على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لا تدخلي فشكت الى أبي بكر قالت : ان هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس فقالت أمرتني الا يدخل عليها أحد وأريتها هذا الذى صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعي ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرتها اسماء النعش تبسمت وما رؤيت متبسمة بعد موت النبي عليه السلام الا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر (فاطمة أول من غطى نعشها من النساء فى الاسلام على الصفة المذكورة فى الخبر المتقدم ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك) وعلى ذلك فأولية زينب بنت جحش التى حكاها القاقشندى انما هى بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشييع الجنازة - فاذا وضعوا الميت على سريره حملوه وساروا به الى القبر . قال حاتم الطائى

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان يبنى اذا مانعشه حملا

وقالت الخنساء ترثى صخرا

ونائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسى على صخر

الا ثكلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وكانت تحمل النيران فى تشييع الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام

(١) منعت الحنفية الزوج من تغسيل زوجته ومسها لا من النظر اليها وأجازته الائمة الثلاثه وحجتهم غسل على لفاطمة واحتج الحنفية بقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع بالموت الا سببى ونسبى مع أن بعض الصحابة أنكر على على ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا عليّ التراب سنا (١) ثم أقيموا حولي قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي

قولهم للجنازة ـ كانوا يقومون للجنازة ويقولون كنت في أهلك ما أنت مرتين . وشاهده ما رواه البخاري في صحيحه بسنده قال أخبرني عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه أن القاسم كان يمشي بين يدي الجنازة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة انها قالت كان أهل في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما انت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح البارى . أي يقولون ذلك مرتين وما موصولة و بعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في أهلك الذى كنت فيه . أي الذي أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء للميت ويحتمل أن تكون ما نافية ولفظ مرتين من تمام الكلام أي لا تكونى في أهلك مرتين المرة الواحدة الى كنت فيهم انقضت وليست بعائدة اليهم مرة أخرى ويحتمل أن تكون ما استفهامية اى كنت في أهلك شريفة فأى شيء أنت الآن يقولون ذلك حزنا و تأسفا عليه

مقابرهم كانوا يحفرون لموتاهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال عنترة العبسى

بالله ما بال الاحبة أعرضت ... عنا وراحت بالفراق صدودها
رضيت مصاحبة البلى واستوطنت ... بعد البيوت قبورها ولحودها

وقال حاتم الطائي

---

(١) سن التراب صبه في سهولة (٢) القبر مدفن الانسان و (اللحود) جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون في عرض القبر .

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى   اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
اذا أنا دلانى الذين أحبهم   بملحودة زلخ جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم   يقولون قد دمى أناملنا الحفر

ومن القبور ما يبنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله   كقبر غوى فى البطالة مفسد(١)
ترى جثوتين من تراب عليهما   صفائح صم من صفيح منضد(٢)

وقال لبيد بن ربيعة العامرى

وهل هو الا ما ابتنى فى حياته   اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا

وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أخا الخنساء لما قتلته بنو مرة

رأيت مكانه فعطفت زورا   وأين مكان زور يا ابن بكر
الى ارم وأحجار وصير   وأغصان من السلمات سمر(٣)
وبنيان القبور أتى عليها   طوال الدهر من سنة وشهر

وقال البرج بن مسهر الطائى

نطوف ما نطوف ثم نأوى   ذوو الاموال منا والعديم
الى حفر أسافلهن جوف   وأعلاهن صفاح مقيم (٤)

وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخرا

فى جوف رمس مقيم قد تضمنه   فى رمسه مقمطرات وأحجار (٥)

---

(١) النحام البخيل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين تثنية جثوة بالتثليث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعضه فوق بعض

(٣) الارم كعنب العلم و (الصير) واحده صيرة وهى حظيرة الغنم .

(٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفاح) حجارة عراض رقاق

(٥) قال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام وأحجار صغار

وقال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نفرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب (٢)
لا تنفرى يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)

واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتا أو بناء مشرفا كأطم من الآطام مباهاة وفخراً وتعاظما وزهواً فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلهل التغلبى من قصيدة فى رثاء كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

ومن ذلك ما رواه الاصبهانى فى الاغانى عن الاصمعى وأبى عبيدة ان رجلا من غنى . يقال له قيس الندامى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيدا جوادا فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال لاضعن تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما شاء ونادمه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طئ خرجوا اليه وهم لا يعرفونه فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لاياد له كانت فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتا — وقد بنى المنذر الاكبر الغريان وهما منارتان على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الاسديين . وسنذكر خبرهما عند الكلام على العقر — واذا كان الميت من النصارى وضعوا جثته فى صندوق يسمى التابوت ويسمى الاران أيضاً .

---

(١) فى الاغانى ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضا انه لضرار بن الخطاب الفهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك قال ومن الناس من يرويها لكرز بن حفص ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض ذات حجارة نخرة سود (٣) المسعر الذى كانه آلة فى ايقاد الحروب

حمى القبر - من عادتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك . حكى أبو عبيدة عن الحرمازى قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا فى ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائبا فلما قدم . مر بقبره فقال ماهذه الانصاب قالوا نصبناها على قبر عامر فقال ضيقتم على أبى على وأفضلتم منه فضلا كثيرا ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحا أبا على . فوالله لقد كنت تشن الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بايعادك وكنت لا تضل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السيل وكنت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيداً شريفاً ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة ثم قال أسلم ياعامر . قال : على ان لى الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغضبا فولى وقال لاملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرساً . فقال النبى عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد بنى عامر واشغل عنى عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وانى شئت فخرج عامر فأخذته غدة مثل غدة البكر فآوى الى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يثب وينزو فى السماء ويقول : ياموت ابرز لى . غدة مثل غدة البعير وموت فى بيت سلولية

نضح القبر بالخمر — كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالخمر قال نصر بن غالب

أصب على قبريكما من مدامة فالا تذوقاها تروِ ثراكما

وقال حاتم يوصى امرأته بنضح الخمر على قبره

---

(١) كذا فى الكامل للمبرد وفى مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهملة آخره نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسعى بنطفة من الخمر ريا فانضحن بها قبرى

السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت لها السقيا قال النابغة الذبيانى من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى

سقى الغيث قبرا بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمى قطر ووابل (١)

ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطل (٢)

وينبت حوذانا وعرفا منورا سأتبعه من خير ما قال قائل (٣)

وقد أوصى المتلمس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه

خليلى اما مت يوما وزحزحت منايا كما فيما يزحزحه الدهر

فرا على قبرى فقوما فسلما وقولا سقاك الغيث والقطر باهر

وقال مهلهل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار

سقاك الغيث انك كنت غيثا ويسرا حين يلتمس اليسار

والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستفيضة

وقد اختلف فى سبب استسقائهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد كل من مر بها دعاء لها بالرحمة

وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العبسى من رثاء بنيه

سقى الله أجداثا ورائى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

---

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسم الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يثيره على منتواه . و (يثيره) أى يهيج رائحته ويذكيه و (منتواه) موضع تباعده عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة . وقوله (سأتبعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لايريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر
ولو يستطيعون الرواح تروحوا معى وغدوا فى المصبحين على ظهر(١)
لعمرى لقد وارت وضمت قبورهم أكفاً شداد القبض بالاسل السمر

والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهودها غضة من الدروس طرية لايتسلط عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :

فلا سقاهن الا النار تضطرم * وقال السهيلى عند قول كعب بن مالك فى رثاء من قتل من الشهداء يوم موتة

صلى الاله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

(وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة فى البلاد . وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل فاهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموتة وليس معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة عظام ابن ليلى حيث كان رميمها

فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقيما معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى ابن عبد ربه فى كتاب النسب من العقد الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله فى الجاهلية وسأل عنه النبى وفد عبد القيس . وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفى ذلك يقول الحجين بن عبد الله

ومنا الذى بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر

وفى المعارف لابن قتيبة (أرباب بن رئاب (٢) هو من عبد القيس من شن . وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى

(١) أى لغدوا فى صباح اليوم التالى على ظهر الارض ولم يصيروا فى بطنها مع الاموات (٢) فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء

خير أهل الارض ثلاثة رئاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لايموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا طشا على قبره) والطش المطر الضعيف

العقر على القبر ونضحه بالدماء - كانوا يعقرون(١) على قبر العظيم أو السيد الشريف الخيل او النوق وينضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرهم الابل ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف فى سبب عقرهم الابل على القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقر من الابل فى حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دم وذبائح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم يثأرون لهم منها . وقيل ان الابل أنفس أموالهم فكأنهم يريدون بذلك انها قد هانت عليهم لعظم المصيبة » نقل ذلك عنه البغدادى فى خزانة الادب . والشواهد على عقر الابل والخيل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد فى الكامل أن رجلا عربياً وقف على قبر النجاشى فترحم وقال : لولا أن القول لايحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لاطنبت بل لاسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى بأبيض عضب أخلصته صياقله
على قبر من لو اننى مت قبله لهانت عليه عند قبرى رواحله

وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفنى بجداء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب
فان انت لم تعقر علىّ مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب(٢)
ولا تدفننى فى صوى وادفننى بديمومة تنزو عليها الجنادب (٣)

---

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح (٢) يدعو عليه بفقد ما يحلب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوّة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسمى بالعبقري الحسان ان أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هـذه الابيات واستشهد بها على ما كانوا يعتمدون في البلية وقلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الابيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر مايدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان ان قوله أو يفوز راكب فيه ايماء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادفني بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل انها تسمى مفازة من فوز أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع اخطأ في ايراده في هذا الباب كما اخطأ في هذا الباب أيضا في ايراده قول مالك بن الريب

وعطل قلوصي في الركاب فانها ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وانما أراد لا تركبوا راحلتي بعدي وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادي" وأصادق ذاهبة جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ماذكره أبو علي القالي في الامالي قال لما مات عمرو ابن حممة الدوسي وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم ابن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب فعقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة و (تنزو) تثب و (الجندب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزأ عظيم رماد النار مشترك القدر(١)
حليم اذا ما الحلم كان حزامة وقورا اذا كان الوقوف على الجمر(٢)
اذا قلت لم تترك مقالا لقائل وان صلت كنت الليث يحمى حمى الاجر
ليبكك من كانت حياتك عزه فأصبح لما بنت يغضى على الصغر(٣)
سقى الارض ذات الطول والعرض مثجم أحم الرحى واهى العرا دائم القطر(٤)
وما بى سقيا الارض لكن تربة أضلك فى أحشائها ملحد القبر

وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلا والجود والمجد والندى طواك الردى ياخير حاف وناعل
لقد غال صرف الدهر منك مرزأ نهوضا بأعباء الامور الاثاقل
يضم العفاة الطارقين فناؤه كما ضم أم الرأس شعب القبائل(٥)
ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة كما كشف الصبح أطراق الغياطل(٦)
ويستهزم الجيش العرمرم باسمه وان كان جرارا كثير الصواهل
وينقاد ذو البأو الابى لحكمه فيرتد قسراً وهو جم الدغاول(٧)
ويمضى اذا ما الحرب مد رواقه على الروع وارفضت صدور العوامل(٨)
فأما تصبنا الحادثات بنكبة رمتك بها احدى الدواهى الضآبل(٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الرزيئة) المصيبة كالرزء (٢) الحزامة والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصغر خلاف العظم (٤) مثجم أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شئ و(الرحى) وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و (قبائل الرأس) واحده قبيلة للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و (الدجى) الظلمة و (الهيجا) الحرب و (اطراق) اطرق الليل ركب بعضه فوق بعض و (الغيطلة) الظلمة أو اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو الفخر و (الدغاول) الدواهى (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و (عامل) الرمح وعاملته صدره (٩) الضآبل الدواهى واحدها ضئبل

فلا تبعدن ان الحتوف موارد وكل فتى من صرفها غير وائل (١)

وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذى ضم أعظما تحوم المعالى حوله فتسلم
سلام عليه كلما ذر شارق وما امتد قطع من دجى الليل مظلم (٢)
فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطفت عليك ملث دائم القطر مرزم (٣)
تضمنت جسما طاب حياً وميتاً فأنت بما ضمنت فى الارض معلم
فلو نطقت أرض لقال ترابها الى قبر عمرو الازد حل التكرم
الى مرمس قد حل بين ترابه وأحجاره بدر وأضبط ضيغم (٤)
فلو وألت من سطوة الموت مهجة لكنت ولكن الردى لا يثمثم (٥)
فلا يبعدنك الله حياً وميتاً فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم
وقد كنت تمضى الحكم غير مهلل اذا غال فى القول الابل الغشمشم (٦)
لعمرو الذى حطت اليه على الونا حدابير عوج نيها متهمم (٧)
لقد هدم العلياء موتك جانباً وكان قديما ركنها لا يهدم

ومن العقر على القبور فى الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الاسديين الابل والخيل وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما الغريان (٨) روى انهما كانا يفدان على المنذر الاكبر فى كل سنة فيقيمان عنده ويادمانه وكانت اسد وغطفان لا يدينون للملوك ويغيرون عليهم فوفدا سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال

---

(١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) الملث السحاب الدائم المطر (والمرزم) الرعد الشديد صوته (٤) المرمس القبر و (الاضبط والضيغم) اسمان للاسد (٥) وألت نجت ويثمثم يبطئ ويثمثم يحرك ويدفع (٦) المهلل المتوقف يقال حمل عليه فما هلل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذى يركب رأسه ولا يثنيه شئ عما يحب ويهوى (٧) الحدابير جمع حدبار وهى المنحنية الظهر (والنى) الشحم و (المتهمم) الذائب (٨) فى القاموس الغرى كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناءان مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دنت تميم وربيعة فقالا أبيت اللعن هذه البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاذا شئت أجبناك فعلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقي فسقاهما سما فانصرفا من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الليل أحس حبيب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمرو مثل ذلك فكان حاله كحاله وأصبح المنذر نادماً على قتلهما فغدا عليه حبيب بن خالد فقال أبيت اللعن أسعدك الاهل نديماك وخليلاك تتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبيب أعلى الموت تستعديني وهل ترى الا ابن ميت وأخا ميت ثم أمر فحفر لهما قبران بظاهر الكوفة فدفنا فيهما وبنى عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيرا وغراهما بدمائها وجعل يوم نادمهما يوم نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضا ما حكاه الاصبهاني في الاغاني أن حسان بن ثابت لما مر بقبر ربيعة بن مكدم قال يعتذر لعدم عقر ناقته على قبره

لا يبعدن ربيعة بن مكدم ... وسقى الغوادي قبره بذنوب(١)

نفرت قلوصي من حجارة حرة ... بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فانه ... شريب خمر مسعر لحروب(٢)

لولا السفار وبعد قفر مهمه ... لتركتها تحبو على عرقوب(٣)

---

(١) هذا الشعر نسبه أبو تمام في الحماسة لحفص بن الاحنف الكناني وقدمنا انفا من تنسب له هذه الابيات أيضا . و (الذنوب) الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء وقد استعاره للغيث . وربما جعل الذنوب في الحظ والنصيب (٢) المسعر الذي كانه آلة في أسعار الحرب (٣) المهمه المفازة . و (الحبو) الزحف قبل القيام ويفعله البعير المعقول وهو يريد المشي و (العرقوب) من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سود الحدق ولا عبرة لقول ابن عبد ربه في العقد الفريد «كان يعقر على قبر ربيعة بن مكدم في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره» لما قدمناه ومنه ظهر ان العقر من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيضة ولمشابهته القربان الذى يقدم للاصنام نهى عليه الصلاة والسلام عنه بقوله لاعقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم في الاسلام وشاهده قول أبي عمر وهلال بن العلاء الرقى (وعقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم وفي الاسلام على قبر المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور» وقال زياد الاعجم يرثى المغيرة ابن المهلب بن أبي صفرة

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح(١)
ان السماحة والمروءة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف سابح(٢)
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح(٣)

روى ان زياداً الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله

فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف سابح

قال له مهلا عقرت عليه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو

يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زادا فانك عاقر

(١) روى أبو الحسن «والغزى اذا غزوا» و (القوافل) جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز

(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع كوماء بالفتح والمد الناقة السمينة و (الجلاد) جمع جلدة وهى أدسم الابل لبنا و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (سابح) جار بقوة ويروى كل طرف طامح (٣) النضح الرش القليل

كنت علـى عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس

ومن ذلك قول الفرزدق يرثى بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على قبره من قصيدة أولها

أعينى الا تسعدانى ألمكما   وما بعد بشر من عزاء ولا صبر(٢)
وقل جداء عبرة تسفحانها   على انها تشفى الحرارة فى الصدر(٣)
ولو أن قوما قاتلوا الموت قبلنا   بشيء لقاتلت المنيـة عن بشر

الى أن قال فى عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه   من الخيل مجنوب الاطاقة والحصر (٤)
أغر صريحى أبوه وأمه   طويل أمرته الجيـاد على شزر (٥)
أتصهل عندى بعد بشر ولم تذق   ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم   على فرس عند الجنـازة والقبر (٧)
حلفت له لايتبع الخيل بعدها   صحيح الشوى حتى تكوس من العقر(٨)
أأنت شحيحا ان ركبتك بعدها   ليوم رهان أو غـدوت مى تجرى

وقال أبو عبيدة دعوى الفرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب و (كانوا) يطعمون مايعقر للفقراء والمساكين

وقد أحسن بعض المحدثين فى هذا المعنى فقال

---

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق) الكريم   (٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب   (٤) محبوك السراة قوى الظهر   (٥) الصريح فرس عبد غوث بن حرب وآخر لبنى نهشل وآخر للخم و (أمرته) فتلته و (الشذر) فتل الحبل عن اليسار والمعنى ان آبائه أورثته القوة   (٦) المذكر من السيوف ذو الماء و (الضريبة) حد السيف و (الاثر) فرند السيف وهو مايرى فيه شبه غبار أو مدب نمل (٧) الجنازة الميت   (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس) البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكما تبكيان
اندبا الماجد الكريم أبا اسحـــــاق رب المعروف والاحسان
واذهبا بي ان لم يكن لكما عقـــــر الى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كا ن دمي من نداه لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخيل عند نزول الموت أشعارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون عند القبر اذا مروا به نيابة عن الميت فى قرى الضيفان قال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفار وبعد قفر مهمه لتركتها تحبو على عرقوب

كانت العادة فى العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى للاضياف ينحر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يقسع يفعل ذلك نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو مايجرى مجراه فصار هذا يعتذر من ابقائه على راحلته وقال فى شرح قول جرير يرثى قيس بن ضرار ابن القعقاع

وحُقّ لقيس أن يباح له الحمى وأنْ تعقر الوجناء أن خف زادها

كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهو فى صحبة أحب أن ينوب عن المقبور فى الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته اكراما لذلك قال : وان تعقر الوجناء ان خف زادها — ثم قال وذكر النمرى ما يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابى فقال ان قوله وان تعقر الوجناء اذ خف زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثى هشام بن المغيرة

ألا هلك المــأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يؤوب
فان لم يكن زاد فان قصاره من المفرهات صعبة وركوب

ومن العقر على القبر للقرى ما ذكره المبرد فى الكامل عن لهذم مكاتب لبنى منقر حين ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فانشده

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما خشيت الردى او ان أره على قسر
بقبر امرىء تقرى المئين عظامه ولم يك الا غالباً ميت يقرى
فقال لى استقدم أمامك انما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

قال المبرد يريد بقوله تقرى المئين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس فى الحياة و بعد الممات وهذا معروف فى أشعارهم

اتخاذ البلية — وقد كان من مذهبهم فى الجاهلية اتخاذ البلية وهى ناقة تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعا وعطشا

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعى من قصيدة يرثى بها المطلب وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف فى قوله

ياعين فابكى أبا الشعث الشجيات يبكينه حسرا مثل البليات(١)
يبكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات

وقد بين مذهبهم فى ذلك ابن أبى الحديدفقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها فى حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت وملئ جلدها ثماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبل عليه حشر ماشياً ومن كانت له بلية حشر راكباً على بليته » وقد ذكر القلقشندى فى صبح الاعشى «أن العرب كانت تشد ناقة الميت الى قبره ويقلبون رأسها الى ورائها ويغطون رأسها بولية وهى البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى . ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه فى المعاد ليركبها » . وقد قال أبو زيد فى تشبيه رجال بالبلايا

كالبلايا رءوسها فى الولايا مانحات السموم حر الخدود

والولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الناقة وقال الشهرستانى كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلى ظهرها أو مما يلى كلكلها أو بطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها

البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .

ولا يتخذ البلية من لايؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بالبلية .

يا سعد أما اهلكن فانى أوصيك ان أخا الوصاة الاقرب
لاتتركن أباك يسعى خلفهم تعباً يخرعلى اليدين وينكب(١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب(٢)
ولعل لى مما جمعت مطية فى الحشر أركبها اذاقيل اركبوا

وقال عويمر النبهانى يوصى ابنه أيضا

أبنى لا تنس البلية انها لابيك يوم نشوره مركوب

وقال عمرو بن زيد المتمنى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبنى زودنى اذا فارقتنى فى القبر راحلة برحل قاتر (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا(٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عاثر

وقال أبوالعلاء المعرى فى رسالة الغفران (وقد كانوا فى الجاهلية يكسعون ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وحدها قد بعثت له فيركبها فليته لا ينهض بثقله منكبها وهيهات بل حشروا عراة حفاة)

قولهم للميت لا تبعد — كان من عادتهم الدعاء للميت بقولهم لا تبعد وقد كثرت أشعارهم فى هذا . قال أعشى باهلة من قصيدة فى رثاء المنتشر بن وهب الباهلى

---

(١) فى رواية : لا أعرفن أباك يحشر خلفكم . وفى روايه الخطائى
لاتتركن أباك يحشر مرة عدوا يخر على اليدين وينكب
(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرحال أو السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذى يقى الظهر ولا يعقره
(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر   اما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)

وقالت أم عمرو ترثى ربيعة أخاها

فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل   لاق التى كل حى مثلها لاق

وقالت الخنساء من رثاء لاخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل   دراك ضيم وطلاب بأوتار

وقال السموءل

ياليت شعرى حين أندب هالكا   ماذا يؤبننى به أنواحى
أيقلن لا تبعد فرب كريهة   فرجتها بيسارة وسماح

وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعى بن مالك بن عمرو بن تميم .

كم شامت بى ان هلكت وقائل   لا يبعدن مخارق بن شهاب
المشترى حسن الثناء بماله   والمالئ الجفنات للاصحاب

وقد قصدوا بقاء الذكر كما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره

لا تبعدى اما ذهبت شامه   فرب واد نفرت حمامه
ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادى فى خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرحبيل ومن قتل معه من قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومى الذين هم   سم العداة وآفة الجزر (٢)

---

(١) يقال بعد بعدا من باب فرح فرحا اذا هلك   (٢) السم سينه مثلثة و(العداة) الاعداء جمع عادٍ و(الآفة) العلة و(الجزر) بضم فسكون جمع جزور والاصل بضمتين كرسول ورسل فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى الناقة التى تنحر فان كانت من الغنم فهى جزرة بفتحتين ـ وصفتهم (أولا) بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و (ثانيا) بالكرم ونحر الابل للاضياف فكأنهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر(١)

وقال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالا يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ولهم فى ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل . وكانهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى زهير بن أبى سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح

يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث و(الغرض الثانى) انهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته ألا ترى الى قول الشاعر

فاثنوا علينا لا أبا لابيكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثى يزيد بن يزيد الشيبانى

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى اللياليا

وقد بين مالك بن الريب المزنى ما فى هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة

يقولون لا تبعد وهم يدفنونى وأين مكان البعد الا مكانيا

هذا وممن لم يجد فى هذا المعنى غناء الضرار السلمى فقال

وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت بها يدى

---

(١) تعنى بقولها (النازلين بكل معترك) انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفى ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها (والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاء فى فروجهم لان العرب تكنى بالشئ عما يحويه أو يشتمل عليه و(المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمى قال اللخمي (المعاقد) الحجز

ما كان ينفعني مقال نسائهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد(١)

ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدو من يك مسدلا على وجهه ستر من الارض يبعد

وقال قراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعري ما يقولن مخارق اذا جاوب الهام المصيح هامتي(٢)

ودليت في زوراء يسفى ترابها عليّ طويلا في ذراها اقامتي (٣)

وقالوا ألا لا يبعدن اختياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)

وما البعد الا أن يكون مغيبا عن الناس مني نجدتي وقسامتي (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب الاديان السماوية من العرب كما آمن به عبدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور زعما منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هي حيث يثنى طرف الازار في لوث الازار أي طيه و(الازر)جمع ازار وسكن تخفيفا والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا الازر . ولبس السراويل عندهم نادر . يروى ان اعرابيا مرّ بسراويل ملقاة فظنها قميصا فادخل يديه في ساقيها وأدخل رأسه فلم يجد منفذا . فقال ما أظن هذا الا من قمص الشياطين (١) في رواية . وقتلت بين(٢) معنى البيت جاوب صداه صداهم على عادتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاما (٣) أي أرسلت في حفرة معوجة يعني اللحد و (يسفى ترابها) أي يهال ترابها علي (٤) اختياله أدلاله وتجبره و (القروم) الفحول ويريد بتسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن ويروى مكانها بسالتي أي نجدتي وشجاعتي

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعظيم ولم يرض الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستانى مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية فى كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ماخلق الله . وقال يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم فثبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الانبياء والرسل الكرام ـ قد آمن كل أهل دين سماوى بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أوأخبرعنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأنكروا الانبياء والمرسلين كما أنكرهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لبعث الرسول فى الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدوننا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لايعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الأمر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل)

البعث والحساب — اختلف اعتقاد العرب فى البعث اختلافا كثيرا فأكثر عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخالق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم — وقد استدل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لاعترافهم بها فقال (قل يحييها الذى انشأها أول مرة)وقال (أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم

حيـاة ثم موت ثم نشر　　حديث خرافة ياأم عمرو

وقال شداد بن الاسود الليثى يرثى قتلى بدر من المشركين ويتهكم بما أنزل على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عنى　　بأنى تارك شهر الصيـام
اذا ما الرأس زايل منكبيه　　فقد شبع الانيس من الطعام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا　　وكيف حياة اصداء وهام (١)
أتترك ان ترد الموت عنى　　وتحيينى اذا بليت عظامى

ومنهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ للحساب بقية فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس فى ذلك

فما أيبلى على هيكل　　بناه وصلب فيه وصارا (٢)
يراوح من صلوات المليـ　　ـك طورا سجودا وطورا جؤارا (٣)
بأعظم منك تقى فى الحساب　　اذا النسمات نفضن الغبارا (٤)

وقال حاتم الطائى فى البعث واستئثاره تعالى بعلم الغيب

اما والذى لايعلم الغيب غيره　　ويحيى العظام البيض وهى رميم

---

(١) يريد بابن كبشة سيدنا محمداً رسول الله (٢) الايبلى الراهب و(الهيكل) بيت النصارى فيه صورة مريم و ديرهم و(صلب) اتخذ صليبا (٣) الجؤار رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمات

لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهى محافظة من أن يقال لئيم

وقال حاتم أيضا

وانى وان طال الثواء لميت ويعظمنى ماوى بيت مسقف(١)

وانى لمجزى بما أنا كاسب وكل امرئ كسب بما هو متلف

وقال قس بن ساعدة الايادى فى البعث وكان ممن يعتقد التوحيد

يا باكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق

دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصعق

حتى يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعده خلقوا

منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق

وهو القائل فى وصية له : كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولئن ذهب ليعودن يوما . وقال زيد بن عمرو بن نفيل.

فلن تكون لنفسى منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر

وقال علاف بن شهاب التميمى

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل له فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيئ يعاقب بأساءته . ومنهم عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب القائل من وصية له : انى مارأيت شيئا قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء ثم قال انى أرى أمورا شتى وحتى قيل له وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حيا ويعود ماليس بشئ شيئا ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين فقال : ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها

كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال فى هذه الدار وعرضها

(١) يعظمنى من عظمه عظمة ضرب عظامه وفى رواية : يضطمنى

يوم البعث . فهذا زهير بن أبى سلمى كان يمر بالمضاه وقد أورقت بعد مايبست فيقول (لولا أن يسبنى العرب لآمنت بان الذى أحيا الارض بعـد يبسها سيحيى العظام وهى رميم) أى لاعلنت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومعنى البيتين ان الله لاتخفى عليه خافية فلا تضمروا الغدر فيرقمه الله فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجـله فى الدنيـا فينتقم من الغادر .

الايمان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يزل أهل الجاهلية يذكرون القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيدا . وعن سعيد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريد أم رأى العجم . فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتابا قد خلا مسطورا

ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها

وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلا من هوا ه شيئا اذا هو لم يكتب

خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لافعال الانسان الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الخشنى أبوعبدالله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال : شاعران من فحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب العدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذى ذهب مذهب العدلية أعشى بكر حيث يقول

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا

والذى ذهب مـذهب الجبرية لبيد بن ربيعة العامرى حيث يقول

ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وذكر صاحب الاغانى أن أعشي بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان يعود فى كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم وينادمهم ويسمع من اساقفة نجران قولهم فكل شيء فى شعره من هـذا فنهم أخذه

التناسخ — هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح . وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تجيز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن من نوع الجسد الذى فارقته اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى غير نوعها. والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

(١) النفل محركة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالاثريث

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وباذن الله ريثى والعجل . فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه. وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبيد . وأما قوله من هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار اللهم الا أن يكون مذهب لبيد فى الاجبار معروفا بغير هـذه الابيات فلا تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مـذهبه »

زاد بعضهم بين بيتى لبيد قوله

أحمد الله فلاند له بيديه الخير ما شاء فعل

الى أجساد البهائم المسخرة للاعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتطمة فى الاقذار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغاير نوع الجسد الذى فارقته لان النوع الذى أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب فى الجاهلية قال ابن أبى الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح فى الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقدمنا آنفا عند قولهم للجنازة كنت فى أهلك ماأنت مرتين عن ابن حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس

ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع الجسد الذى فارقته أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن نانوس تلميذه وأبو مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب وهو قول القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبى امنا لصرف الليالى جعلت اختنا سكينة فاره

فازجرى هذه السنانير عنها واتركيها وما تضم الغراره

المسخ — تحويل الصورة الى صورة هى دونها قال الجاحظ قلت لعبيد الكلابى وكان مشغولا بالابل أبينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤوله فقلت مسخك الله بعيرا فقال ان الله لا يمسخ انسانا على صورة كريم بل لئيم . وينكر المسخ اكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقروا به غير أنهم أجمعوا على أن الله جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لامكانه ووقوعه قال تعالى (فلما

---

(١) قال الشهرستانى فى الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذى هو وصول الروح عند مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهوا عنه . قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شيء معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب فى الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعا والآخر ذئباً وزعموا أن سهيلا كان عشارا وأن الزهرة كانت امرأة اسمها اناهيد فسخا نجمين .

﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر فى هذا الفصل الاحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الاحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الاحكام اما من مجهود قرائحهم واستحسانهم ما حسنه عقلهم واستقباحهم ما قبحه أو بقية فيهم من شريعة ابراهيم واسماعيل فان الحنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الاصنام والكواكب وغيرها فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة ابراهيم أياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب فمن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخثعمية عن نفسها

أما الحرام فالممات دونه   والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه   يحمى الكريم عرضه ودينه

ومنهم الاسلوم اليالى وهو القائل فى تحريم الزنا والخمر .

سالمت قومى بعد طول مضاضة   والسلم أبقى فى الامور وأعرف
وتركت شرب الراح وهى أميرة   والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أميم تكرماً   وكذاك يفعل ذو الحجا المتعفف

ومنهم عنترة بنى عبس وهو القائل .

ما سمت أنثى نفسها فى موطن   حتى أوفى مهرها مولاها
أغشى فتاة الحى عند حليلها   واذا غزا فى الجيش لا أغشاها
واغض طرفى ان بدت لى جارتى   حتى يوارى جارتى مأواها

وكانوا يرجمون فى الزنا ويروى أبو هلال العسكرى عند قولهم فى المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها في سفر احمل لى هـذا الـكرز فحمله فلما توسط الثنية وحد بلا على عنقه فقذف به فخرج منه رجل يسعى فاستفتى لقمان بن عاد فى شأنها فقال تدفن حية فى كرزها قال أبو حاتم وأظن ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندى ان أول من رجم فى الزنا فى الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره فى المحصن

وحرم كثير من أهل الرأى فيهم الخمر تكرما لانفسهم وصيانة لها عن معرة السكر او اتقاء لضرر الخمر وذكر ان أول من حرمها الوليد بن المغيرة وقيل قيس بن عاصم السعدى وفيها يقول

لعمرك ان الخمر مادمت شاربا لسالبة مالى ومذهبـة عقلى
وتاركتى من الضعاف قواهم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل

وحرمها صفوان بن أمية بن محرث الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبدا سقيما
ولا أعطى بهـا ثمناً حياتى ولا أدعو لها أبدا نديما
فان الخمر تفضح شاربيها وتورثهم بها الامر العظيما
اذا دبت حمياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحليما

ومنهم مقيس بن صبابة السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط ببوله . ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها وقال

رأيت الخمر طيبـة وفيها خصال كلها دنس ذميم
ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم

ومنهم الاسلوم اليالى وعبد المطلب بن هاشم جد النبي عليه السلام وعمه أبو طالب وجده قصى بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن الظرب العدوانى وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قريش وساداتها وسبب تحريمه الخمر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفى فضربه

على عينه فأصبحت عين أميــة مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني الشراب ماأبلغ معه من جليسي هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا أذوقها بعــد اليوم أبدا وحرمها عفيف بن معــديكرب الــكندى عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابى فقلت عففت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد أرانى بها فى الدهر مشغوفا رهينا
وحرمت الخمور علىّ حتى أكون بقعر ملحود دفينا

وقال أيضا

فلا والله لا ألفى وشرباً أنازعهم شراباً ما حييت
أبى لى ذاك اباء كرام وأخوال بعزهم ربيت

وممن حرمها فى الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائى وهو القائل حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعى منادى الصبــح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنــدامى
وحرمت الخمور وقد أرانى بها سدكا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل له حين كبر لو أخــذت من الشراب شيئا فانه يزيد فى قوتك فقال لا أدخل رأسى شيئا يحول بينى وبين عقلى . وعثمان بن عفان وقيل له مامنعك من شرب الخمر فى الجاهلية فقال انى رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا ذهب جملة ويعود جملة وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قومى وأمسى سفيههم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحره

الاشهر الحرم والغسل من الجنابة وتغسيل الموتى وتكفينهم مما تقدم ذكره ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية » حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين وأول من جمع بينهما أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاغتسال من الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ولقد حرموا السرقة وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يمينا أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء وبرهانا يجلى به الحق وتنصح به الدعوى وجاء ذلك في قول زهير

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيرا نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري مازاد على ما قال وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البينة على من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الايادي . وكانوا يقضون بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجد في محلتهم لم يدر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلا بالله ماقتلت وما علمت له قاتلا وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان امتثالا لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها سنة من سنن الدين ولنبسط الكلام على الختان فنقول

الختان ـ هو فى العرب سنة للنساء والرجال وأول امرأة أختتنت هاجر أم اسماعيل وأول رجل أختتن ابراهيم امتثالا لامر ربه . ولقد حافظت العرب على سنة الختان حتى أن العربى ليخشى أن يوسم بانه أغرل (١) وشاهده ما حكاه ابن هشام فى غزوة حنين من انه لما استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصرانى له أغرل فبينا رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل قال المغيرة بن شعبة فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا فى العرب فقلت لا تقل ذاك فداك أبى وامى انما هو غلام لنا نصرانى. ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون ومن عادتهم أن يختنوا الوليد رضيعا أو صبيا ويتخذون لذلك وليمة يسمونها الاعذار وحكى أهل السير أن النبى ولد معذورا (٢) قال الجاحظ فى الحيوان (والختان فى العرب فى الرجال والنساء من لدن ابراهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبى مختون قط أو فى صورة مختون وناس يزعمون أن النبى وعيسى ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل فى مثل هذا الرجوع الى الرواية الصحيحة) وقد اختلف فى ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاها ابن القيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى فى ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

---

(١) الاغرل كالاقلف ذو الغرلة أو القلفة وهى الجلدة التى تقطع فى الختان (٢) معذورا أى مختونا يقال عذر الصبى واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أى مقطوع السرة (٤) كانت العرب فى الجاهلية تزعم أن الغلام الذى يولد فى القمراء يختنه القمر وذلك لان غرلته تتقلص فيصير كالمختون قال ابن أبى الحديد « ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء الكتان وانتان اللحم وقد روى عن على بن أبى طالب اذا رأيت الغلام طويل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة(ثالثها) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا » قال أبو عمرو ابن عبد البر وفى هذا الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجال سنده يحيى بن أيوب القائل قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن أبى السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفا فى انه ولد مختونا وأجلب فيه من الاحاديث التى لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن المديم وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن نقل معين فيها

﴿ الدين الفتشي ﴾

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحا تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبيد غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصونه بأنواع العبادة اذا وفقوا فى سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجذورها وقشورها والجلد والعظم والريش والناب والمخلب والحافر والسن والظفر والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لاعتبارهم أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها القرابين باعتبار الروح التى تتصل بها أو تحتلها واتخذوها تميمة تقيهم عوادى الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيش fétichisome وأصلها فى اللغة

الغرلة فأقرب به من السؤ د واذا رأيته قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به» وأنت خبير انه يولد فى القمراء كثيرون ومتقاص الغرلة منهم أقل من القليل وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد فى القمراء كلهم أو جلهم متقلص الغرلة وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب مايعتقدون قال امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلف حين دخل معه الحمام

انى حلفت يمينا غير كاذبة   لانت أغلف الا ماجنى القمر

البرتغاليــة Feitiço بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموا بها السحرة من الزنوج . ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافا بفضلهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوها بأنواع العبادة كما دعتهم أوهامهم الى ذلك

ولشيوع هــذا النوع من العبادة فى أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعُبّاد والشجعان والقواد والسمحاء الاجواد ممن بلغ فى صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعا فعبد كل قوم صنما استحسنوه على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توســعوا فى ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبده فى خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موحد فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا فى عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الثعابين . وعباد الفيلة وعباد القطط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

﴿ عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن ﴾

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه فى المعبود من النفع أو الضرر . فمن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ماذكره السهيلي في قدوم وفد طيء علي رسول الله قال « خرج نفر من طيء

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سروس النبهانى وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمى وهو النصرانى ومالك ابن عبد الله بن خيبرى بن افلت بن سلسلة وقعين بن خليف الطريفى رجل من جديلة ثم من بنى بولان فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهم قال إنى خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود الذى تعبدونه من دون الله ومما حازت مناع (١) من كل ضار غير نفاع » ونقل هذا الخبر الاصفهانى فى الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب الموصوف بذى الكيود أى كثير الكيد فانه أغار على بنى بكر فأصاب سقباً (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اغاظتهم فنحره وأكله وفى ذلك يقول احمد البدوى الشنجيطى عند ذكر محارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيبهم وذا الكيود آكل سقب بكر المعبود

عبادة الانسان — كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم أماكنهم وآثارهم وقد حجت العرب عصابة الزبرقان بن بدر قال السهيلى « وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار الزبرقان لذلك بقوله من قصيدة

ما ترى الناس تأتينا سراتهم من كل أرض هويا ثم نصطنع (٣)

فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا للنازلين اذا ما انزلوا شبعوا

قال البغدادى فى خزانة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بنى سعد ابن زيدمناة كانوا يحجون عصابة الزبرقان اذا استهلوا رجبا فى الجاهلية اجلالا له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد التمرى يمدح الزبرقان بقوله

كانت تحج بنو سعد عصابته اذا استهلوا على أنصابه رجبا

---

(١) قال أبو المنذر يعنى مناع جبل طيء (٢) السقب ولد الناقة أو ساعة يولد أو خاص بالذكر (٣) وفى رواية . من كل أرض هوانا ثم نتبع

سب يزعفره سـعد ويعبده في الجاهلية يدتابونه عصبا والعصابة مايعصب به الرأس » فأنت ترى الشاعر قد صرح بان هـذا التعظيم نوع من العبادة فى قوله ويعبده فى الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن بدر المخبل السعدى فقال

ألم تعلمى يا أم عمرة انى تخاطأنى ريب الزمان لا كبرا (١)
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا (٢)

والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لان الزبرقان من أسماء القمر أو لانه كان يزبرق عمامته فى الحرب أى يصفرها . وكان الزبرقان فى وفد تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه رسول الله صدقات قومه فأداها فى الردة الى أبى بكر فأقره ثم الى عمر وذكر الـكوكبى انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل فرس الى آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس منها يمينا غـير التى حلف بها على غيرها فقال عبد الملك : عجبى من اختلاف ايمانه أشد من عجبى بمعرفته بأنساب الخيل

عبادتهم الملائـكة والجن — شاهدها ما ذكره الشهرستانى فى كتابه

---

(١) تخاطأنى بمعنى تخطانى وفاتنى و(ريب الزمان) حوادثه و (كبر)فى السن من باب فرح . يعنى انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادى فى خزانه الادب قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبرا و(عوف) أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزول من حـل بالمـكان اذا نزل فيه و (يحجون) يقصـدون قال ابن دريد فى الجمرة الحج القصـد وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهملة العمامة وكانت سادات العرب تصبغ العمائم بالزعفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصـد بهذا البيت معنى قبيحا وكنى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فان الزيارة لا تستعمل فى هذا الا أن يدعى التهكم

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم » وفى شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب فى أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد فى نفسه وولده وماله وشبهوهم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكتسب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس .

واعتقد العرب أيضا ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايذاء الانسان فكانوا يستعيذون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاذوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاذ بالجنى عظيم الوادى فأكل السبع ولده

قد استعذنا بعظيم الوادى من شر مافيه من الاعادى

فلم يجرنا من هزبر عادى

ونسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسمد الدار ولا تنضب العين

وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود فى رواية أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون

عبادتهم للاشجار — حكي عبادتهم لها ابن هشام فى السيرة عند الكلام على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه الى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات انواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا المهيمن يكفينا أعادينا   كما رفضنا اليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلى « نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون اليه كما يهدون الى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التى حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فعن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعا لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمر فى هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند مادخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال الى الصخرة فقال

---

(١) ناطه نوطا علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعك نعليك فقال أحببت أن أباشره بقدمى فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها فاذهب اليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة.

ومنها قوله للحجر الاسود لولا انى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك ولقد أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

﴿ الوثنية فى العرب ﴾

أول من سجد للاصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون فى مبدأ أمرهم للاجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفى ليلا وسائر الكواكب نهاراً وأرادوا التمكن من عبادتها فى كل حين مثلوا لها صورا عبدوها ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هى المشترى وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس ويونون والزهرة ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظماء مددا الهياً به كانوا عظماء فى الحياة فمثلوا لهم صورا عبدوها واتخذوهم شفعاء عندالله . وأول من فعل ذلك نينوس بن نمروذ بن نوح ملك الاشوريين بانى مدينة نينوى فانه صنع لابيه تمثالا سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية فى بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى مكة وما جاورها عمرو بن لحى سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا فى الحرم وظلموا واستحلوا منه أمورا عظاما . فارسل الله اليهم خزاعة حين أجلاهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشفى ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمه من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحى فتولى سدانة البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسانه فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملؤا مكة و نفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحباً لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون و يعتمرون على ارث أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا و نسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وانتجثوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارث ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ماليس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحى ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدى وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جُرْهُما بنى اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تخلف الخلوف بعد الخلوف وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ماتصنع دينا فسدا للذريعة نهى عن ذلك

(٢) انتجثوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شــديداً فقيل له ان بالبلقاء من الشام حمة (١) ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال ماهذه فقالوا نستسقى بها المطر و نستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة و نصبها حول الــكعبة(٢)» فانت ترى ان الوثنية كانت فيهم قبل عمرو بن لحى بما عبدوه من حجارة الحرم فى أسفارهم وانما عمرو بن لحى هو أول من وضح لهم أنواع عبادتها و بين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى الحرم و نصبها حول الــكعبة وحمل أهله على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة و نصب النصب عمرو بن لحى رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سحنة بن خلف الجرهمى فى اتخاذ عمرو بن لحى للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة ... شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبداً ... فقــد جعلت له فى الناس أربابا
لتعرفن بأن الله فى مهــل ... سيصطفى دونكم للبيت حجابا

و نظم ذلك أحمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود النسب فقال

قمعة قيل جــد عمرو بن لحى ... ذى القصب فى حديث أفضل لؤى
أول من حمل أكياس الحرم ... لــكفره على عبادة الصــنم
وأدخل اللــذين أخرجهما ... أذ أحــدثا فمسخا أهلهما (٤)

(١) الحَمّةُ بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحى كان كاهنا وكان له رئى من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة . قال جير ولا أقامه قال . ائت ضف جدة تجد فيها أصناماً معدة . فاوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأتى شط جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة (٣) القصب بالضم المعى جمعه أقصاب (٤) انظر الــكلام على أساف صفحة ١٣٣

وصلبا على الصفا ليتعظ عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسمل عن شكرها عيون عشرين جمل (١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر
كالبحر والوصل وكالتسييب وكالحماية وكل ريب
الى أن قال بعد تفصيل فى البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى
والعرب قبل متدينونا بملة الخليل يعملونا
وهو أبو خزاعة واكثم شبهه به النبى منهم (٣)

وقد نص الشهرستانى فى الملل أن عمرو بن لحى وضع الاصنام فى البيت فى أول ملك سابور ذى الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية فى الحرم يرجع لتولى عمرو بن لحى الحرم حين تزوجه مع خزاعة وتغلبه على جرهم عام سيل العرم . وقد اختلفوا فى وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهانى انه حدث قبل الاسلام باربعمائة سنة أى فى القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد تهدم فى أيام حسان بن تبان أسعد أى فى القرن الخامس للميلاد وذكر ياقوت انه وقع فى ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النساخ بحبشان فيوافق ابن خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن فى القرن السادس

(١) فى الروض الانف : وذكر أبو الوليد الازرقى فى أخبار مكة أن عمرو ابن لحى فقأ أعين عشرين بعيراً وكانوا يفقؤن عين الفحل اذا بلغت الابل الفا فاذا بلغت الفين فقؤا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنن كى الصحيحات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق فى سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله يقول لاكثم بن الجون الخزاعى يا أكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار . فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه . فقال أكثم عسى أن يضرنى شبهه يارسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى

وكانت الوثنية فى عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان وفى ثمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز فى الحجر وقرح وهى وادى القرى وفى دولة حمو رابى وهى الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٢٠٨١ ق م وفى أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان فى قوله « وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجى زيدان فى كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه فى أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب فى اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويثع وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون فى عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبعل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون فى عبادات تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية فى مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلى الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلى يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الادمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمى صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذى يتخذ ويزين الزونة

و للبيت الذى فيه أصنام وتصاوير البد وكان للعرب أصنام عدة وبيوت للعبادة يعظمونها ويجعلون لها سدنة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها لانهم يعلمون انها من بناء ابراهيم الخليل عليه السلام . ولنذكر ماعثرنا عليه من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتى بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابى المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبن الكلبي وما لم يذكر منهافيه ننبه عليه وقد نعزوه الى مأخذه ونكتفى فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق فى كتابه الساق على الساق فيما هو الفارياق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره ابن سيده فى المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى فى تاج العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آزر — صنم عبدته العرب فى الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف ونائلة — صنمان عبدتهما العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما . حكى ابن المنذر عن أبى صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من جرهم كان يتعشق نائلة بنت زيد من جرهم (١) فى أرض اليمن فاقبلا حاجين فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة فى البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما بلصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة الى الآخر فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن العربى عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس

(١) فى سيرة ابن هشام اساف بن بغى ونائلة بنت ديك . وفى الملل للشهرستانى اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفى الاغانى جزء ١٣ صفحة ١٠٥ عن عثمان بن ساج عن أبى الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويتقادم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن قبلكم فلما كان قصى بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما ملصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم وكان ينحر عندهما ويذبح ولم تكن تدنو منهما امرأة طمثت وفى ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدى أسد خزيمة

عليه الطير ما يدنون منه   مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح مكة » وفى عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم يشبه درجة سلم غير منتظم تطؤه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم

الاسحم ـ صنم عبدته العرب (عن تاج العروس)

الاشهل ـ صنم وبه سمى عبد الاشهل أبو حي من العرب (عن تاج العروس)

الاقيصر ـ قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان وكان فى مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رءوسهم عنده فكان كلما حلق رجل منهم رأسه ألقى مع كل شعرة قرة من دقيق ـ والقرة القبضة ـ فكانت هوازن تنتابهم فى ذلك الابان فان أدركه أحدهم قبل أن يلقى القرة مع الشعر قال : أعطنيه فانى من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله » وفى الاقيصر يقول زهير بن أبى سلمى حلفت بأنصاب الاقيصر جاهدا   وما سحقت فيه المقاديم والقمل

أوال ـ صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر ـ بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للازد ومن جاورهم من طيئ وقضاعة

البجة ــ صنم عبدته العرب (عن تاج العروس)

بس ــ بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)

بعل ــ صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)

البعيم ــ صنم (عن تاج العروس)

بلج ــ صنم (عن تاج العروس)

بوانة ــ صنم عبدوه . روى عن أم أيمن انهم كانوا فى الجاهليــة يجعلون لهم عيدا عنــد بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل فى كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشــد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يامحمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بى لمم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يامحمد لا تمسه قالت أم أيمن فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته

تيم ــ صنم كانت تعبده بنو تميم فى الجاهلية قال أبو عبيدة تيم كلها كانت فى الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجبهة ــ صنم كان يعبد فى الجاهلية (عن تاج العروس)

جريش ــ كأمير صنم عبد فى الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد قيس (عن تاج العروس)

الجلسد ــ صنم عبد فى الجاهلية كما فى المخصص لابن سيده قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما ... يبقر من يمشى الى الجلسد(١)

---

(١) الشُقارَى شقائق النعمان ويبقر أسرع مطأطئا رأسه

جهار ـ صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)

الدار ـ صنم سمى به عبد الدار بن قصى بن كلاب أبو بطن من العرب (عن تاج العروس)

دوار ـ قال البغدادى فى خزانة الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فعن لنا سرب كان نعاجه   عذارى دوار فى ملاء مذيل (١)

يقول ان هـذا القطيع من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول دوار وهو نسك كانوا فى الجاهليـة يدورون حوله . وقال العسكرى فى التصحيف ويروى دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم فى الجاهلية يدار حوله » ويطلق الدوار على الطواف قال أبو المنذر « وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون بها ويعترون عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفى ذلك يقول عامر بن الطفيل وأتى غنى بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى فى فتياتهم جمالا وهن يطفن به فقال :

ألا ياليت اخوالى غنيا   عليهم كلما أمسوا دوار

وقال فى ذلك المثقب العبدى لعمرو بن هند

يطيف بنصبهم حجن صغار   فقد كادت حواجبهم تشيب (٣)

ذو الخلصة ـ بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت لخثعم كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيـل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذى الخلصة صار مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم وقال ابو المنذر « ان ذا الخلصة

---

(١) السرب قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا و (الملاء) بضم الميم جمع ملاءة وهى الملحفة و (المذيل) السابغ (٢) فى القاموس الدوار ككتان ويضم صنم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله إسكان ثانيه أو ضمه أو ضمهما

كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وازدالسراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وفيها يقول خداش بن زهير العامرى لعثعث (١) بن وحشى فى عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله بينى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لو تذكرا
وبالمروة البيضاء يوم تبالة ومحبسة النعمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما فقال له يا جرير ألا تكفينى ذا الخلصة فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أحمس من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثر القتل فى خثعم وقتل مائتين من بنى قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق. وذوالخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدى له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ان المنتشر بن وهب الباهلى خرج يريد حج ذى الخلصة ومعه غلمة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة اهدى له هديا يتحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا منهم يقال له هند بن اسماء ابن زنباع فسأله ان يفدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أنمله ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد أمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهى لا أؤمنه ثم قتل فرثاه أخوه لامه اعشى باهلة بقصيدته التى يقول فى مطلعها

---

(١) خزانة الادب للبغدادى لعقبة (٢) رواية خزانة الادب من هذه

انی أتتنی لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر(١)

الی أن قال

أصبت فی حرم منا أخا ثقة هند بن أسماء لا یهنی لك الظفر

خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أخا ثقة فی حرم وهو حرم ذی الخلصة وروی البخاری بسنده عن جریر قال كان بیت فی الجاهلیة یقال له ذو الخلصة والكعبة الیمانیة والكعبة الشآمیة فقال لی النبی صلی الله علیه وسلم ألا تریحنی من ذی الخلصة فنفرت فی مائة وخمسین راكبا فكسرناه واستشكله بعض المحدثین بان معناه كان یقال الكعبة الیمانیة والشامیة یعنون بالشامیة البیت الحرام فزیادة له سهو وباسقاطه یصح المعنی واجاب عنه السهیلی بان الحدیث فی جامع البخاری بزیادة له كما فی صحیح مسلم ولیست له بزیدة سهوا اذ المعنی كان یقال له أی یقال من أجله الكعبة الشامیة للكعبة وهو الكعبة الیمانیة وله بمعنی من أجله لا تنكر كما قال ابن أبی ربیعة

وقمیر من آخر اللیل قد لا ح له قالت الفتاتان قوما

ذو الشری — صنم كان لبنی الحارث بن یشكر بن مبشر من الازد

ذو الكعبات — بیت كان لربیعة كانوا یطوفون به كما فی تاج العروس وكان بسنداد وفیه یقول أعشی بنی قیس بن ثعلبة

بین الخورنق والسدیر وبارق والبیت ذی الشرفات من سنداد

ذو الكفین — صنم كان لبنی منهب بن دوس فلما أسلموا بعث النبی علیه الصلاة والسلام الطفیل بن عمرو الدوسی فجعل یلقی النار فی وجهه ویحرقه ویقول

یاذا الكفین لست من عبادكا میلادنا أكبر من میلادكا

انی حشوت النار فی فؤادكا

الربة — اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبنی الحارث بن كعب (عن تاج العروس)

---

(١) اللسان الرسالة واراد بها نعی المنتشر و (سخر) بضمتین أی اتانی رسالة من أعلی نجد لا أعجب منها وان كانت عظیمة لان مصائب الدنیا كثیرة

رضاء — بيت لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها فى الاسلام

ولقـد شددت على رضاء شدة فتركتها قفرا بقاع اسحما
وأعان عبد الله فى مكروهها وبمثل عبد الله أغشى المحرما

رئام — هو بيت كان بصنعاء لحمير وأهل اليمن يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منـه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه الى العراق قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة فأمراه بهدم رئام وقالا انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا يقرآنها وهدماه .قال ابن اسحاق فبقاياه اليوم كما ذكر لى بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه

السجة — صنم كما فى القاموس

سعد — قال أبو المنذر هو صنم كان لبنى مالك وملكان ابنى كنانة ومكانه بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجـل من بنى ملكان بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلمـا أدناها منه ورأته وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه فغضب ربها فتناول حجرا فرماه به وقال لا بارك الله فيك الها أنفرت على ابلى ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ثم انصرف وهو يقول

اتينـا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سـعد الا صخرة بتنوفة من الارض لايدعو لغى ولا رشد

سعد — صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد — صنم أيضا كانت تعبده هذيل (عن المخصص)

السعيدة — بيت بنى بجبل أحد كانت تحجه ربيعة فى الجاهلية (عن المخصص)

سعير — بصيغة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبى خلاس الكلبي على ناقته فمر به وقد عترت عنزة عنـده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

نفرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدُم(١)

وجموع يذكر مهطعين جنابه ما ان يحير اليهم بتكلم

سواع — قال ابو المنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل وغيرهم وسموها باسمائها على مابقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل هُذَيْلُ بن مُدْرِكة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحى دفع للحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم

(١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير

(٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا هى غير ما عبده قوم نوح بل مطابقة لها فى الاسم وفى المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله واما يغوث ويعوق ونسر . فقيل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته ليذكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه فى مؤخر المسجد كراهة ان يكون فى قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى فى الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن نقل الواقدى ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا يصحح ماذكره أبو المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هى الاصنام التى عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

برهاط من أرض ينبع يعبده من يليه من مضر بن نزار وكانت سدنته بنى لحيان وكانوا يحجون اليه وينحرون عنده ويعكفون عليه وفى ذلك يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع
تظل جنابه صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه عمرو بن العاص قال عمرو فلما انتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرنى رسول الله أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع أو يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق ـ صنم كانت تعبده هذيل وبه سمى عبد الشارق (عن تاج العروس)

شمس ـ صنم قديم كان فى الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) ـ صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضيزن ـ صنم كان يعبد من دون الله فى الجاهلية (عن المخصص)

الضيزنان ـ صنمان كانا للمنذر الاكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عائم ـ بالهمز صنم كان لازد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

تخبر من لاقيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيماهم لا وعائم

عبدة مرحب ـ صنم كان بحضرموت

عبعب ـ بالعين المهملة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاعة تعبده (عن المخصص)

العزى ـ صنم عبدته العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهى

(١) قال السهيلى ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل هذا البناء الا فى أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم اناثا كاللات والعزى ومناة لاعتقادهم الخبيث فى الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت بهما قبل العزى فوجدت تيم بن مر سمى ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة وعبدمناة ابن اد وباسم اللات سمى ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن رفيدة ابن ثور وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر بن أد بن طابخة وتيم اللات بن النمر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فهى أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ماسمت به العرب وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حُراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويتقربون عندها بالذبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادى حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى فى حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يمينا غليظة بفرع التى أحمت فروع سقام

وكان لها منحر ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب (٢) وفيه يقول نهيكة الفزارى لعامر بن الطفيل

ياعام لوقدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغبغب

وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور

فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور

ولا هبلا أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلمى صغير

---

(١) ننقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلى الغبغب هو المنحر ومراق الدم كأنه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه (٣) رواية ولا ابنتيها

وكان سدنة العزى بنو شيبـان بن جابر بن مرة من بنى سليم وكان آخر من سدنها منهم دبيّة بن حرمى السلمى . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعابها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتدذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذى مات فيه فدخل عليـه أبو لهب يعوده فوجده يبكي فقال مايبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بدمنه قال لا ولـكنى أخاف ألا تعبد العزى بعـدى قال أبو لهب والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لى خليفة . وأعجبه شدة نصبه فى عبادتها فلمـا كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة ببطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل دبية سادنها)وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادنها السلمى بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول

ايا عز شدى شدة لا شوى بها (١) على خالد القى القناع وشمرى
فانك الا تقتـلى اليوم خالدا فبوئى بذل عاجـلا وتنصرى

فلما انتهى اليها خالد هدمهـا وقال بعضهم ان خالدا حمـل على العزى وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك

ثم قتل دبية السادن وقطع الشجرة وكان من سدنتها أفلح بن النضر السليمى من بنى سليم حكى سعيد بن عمرو الهـذلى ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين فقال مالى أراك حزينا قال أخاف ان تضيع العزى بعدى فقال له لاتحزن فانى أقوم عليها بعدك . فجعـل أبو لهب يقول لـكل من لقى أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى فانزل الله تعالى (تبت يدا أبى لهب) وروى ابن العربي من حديث أبي الوليد ان سدنة العزى بنو شيبان بن سليم حلفاء

(١) روايه خزانة الادب : عزاى شدى شدة لا تـكذبى .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى ياتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئاً من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أظن لقربها منها وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون فى الخمسة الاصنام التى دفعها عمرو بن لحى وهى التى ذكرها الله تعالى فى القرآن المجيد حيث قال (ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا) كرأيهم فى هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غنى وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربى بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رجع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذى أكرمنا بك يارسول الله وأنقذنا من الهلكة لقد كنت أرى أبى يأتى العزى بخير ماله من الابل والغنم فيذبحها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا فنظرت الى مامات أبى عليه والى ذلك الرأى الذى كان يعيش فى فضله حتى يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصارى الى رسول الله وهو فى المسجد فقال يارسول الله ائذن لى أقول فانى لا أقول الا حقا فقال قل فانشأ يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذى فوق السموات من عل

فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابا يحيى ويحيى كليهما له عمل فى دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذى عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان أخا الاحقاف اذ يعذلونه يجاهد فى ذات الاله ويعدل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان التى بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل عن الحق معزل (١)

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعنى العزى

عميانس (٢) — قال أبو المنذر وكان لخولان صنم يقال له (عميانس) بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم فما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم من حق الله الذى سموه له تركوه . ووهم اليعمرى فى عيون الاثر وابن هشام فى سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس

توسلوا اليه بالذبائح فامطروا وأعظم القبائح

ان جعلوا له ولله نصيب من مالهم وان تغيب النصيب

أعطى للصنم حظ الله وحظه لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبى عليه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا له يارسول الله لقد رأيتنا وقد اسنتنا حتى أكلنا الرمة وهلكت ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قربانا يشفع لكم فتغاثوا فتعاونا فجمعنا ماقدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب داهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها علينا فنحرناها فى غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتنة أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانس وسألوه عليه السلام عما قسموا

(١) قال هشام الفل من الارض الجدبة التى لا خير فيها ولا بركة فشبهها بذلك

(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المثناة تحت بعدها الف ونون صنم لخولان

له من مالهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه فى ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الاديم .

عوض — ذكر ابن هشام ان ابن الكلبى لم يذكره فى كتاب الاصنام وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير فيهما العنزى

حلفت بمائرات حول عوض　　وأنصاب تركن لدى السعير

حلف بالانصاب التى حول السعير وبالدماء الجاريات حوله وكانوا يذبحون للاصنام (عن البغدادى فى خزانة الادب)

العوف — صنم (عن القاموس)

غبغب — انظر عبعب

غمدان — بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة وخربه عثمان ذو النورين (عن الملل والنحل للشهرستانى)

الفلس — قال أبو المنذر . وكان لطيئ صنم يقال الفلس وكان انفاً أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتيه خائف الا أمن عنده ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنته بنو بولان وهو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفى فأطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كلب من بنى عليم وكانت جارة لمالك ابن كلثوم الشمجى وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفلس . وخرجت جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عرياً وأخذ رمحه وخرج فى

(١) الحوية كغنية استدارة كل شئ — والمعنى ان ماصار فى حرمه يترك له

(٢) الخلية من معانيها الناقة التى تنتج وهى غزيرة فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفلس والناقة موقوفة عند الفلس فقال له خل سبيل ناقة جارتي . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها قال أتخفر الملك فبوأ له الرمح(١) فحل عقالها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

- يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بناب علكوم(٢)

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يحرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عتر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا مايصيبه في يومه هذا فمضت له أيام لم يصبه شيء فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أحفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرد طريدة أخذت منه فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبي طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان قلده اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبي طالب فهو سيفه الذى كان يتقلده

القليس ـ كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس ـ صنم لم يذكره ابن الكلبي وبه سمى امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في معلقته ـ عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل ـ فكان يقول يا مرأ الله

كثرى ـ صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعرة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلم وكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنع

حلفت بكثرى حلفة غير برة لتستلبن أثواب قيس بن عازب

الكسعة ـ صنم عبدوه في الجاهلية (عن تاج العروس)

---

(١) بوأ الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره و(الناب) الناقة المسنة و(العلكوم) الشديدة

الكعبة ـ هى بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين بناه بالوحى الالهى ابراهيم واسماعيل قال الشهرستانى وكذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه البانى الاول على طوالع معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستندا الى الوحى على يدى أصحاب الوحى

كعبة نجران . كانت لبنى الحارث . قال أبو الفرج الاصفهانى انها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدى وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير اجير أو خائف أمن أو مسترفد اعطى ماطلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى يخاطب ناقته

فكعبة نجران حتم عليـ ـك حتى تناخى بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح وقيسا هم خير أربابها

قال أبو المنذر « وكان لبنى الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهى التى ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة وانما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكرهم وما أشبه ذلك عندى بان يكون كذلك لانى لا أسمع بنى الحارث تسموا بها فى شعر وكان لاياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة فى الظهر وهى التى ذكرها الاسود بن يعفر(١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة انما كان منزلا شريفا فذكره »

كعيب وامرأته ـ صنمان لم يذكرهما ابن الكلبي كانا فى كنيسة القليس وكان كعيب خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا وكانت امرأته

---

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

خشبة من الساج مثلها فى الطول وكانوا يتبركون بهما فى الجاهلية

اللات — صخرة بالطائف اتخذ العرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهى التى ذكرها الله فى القرآن فقال (افرأيتم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجعيد

فانى وتركى وصل كأس لكالذى تبرأ من لات وكان يدينها

وقال السهيلى « ان عمرو بن لحى هو اللات الذى يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذصنما يعبد » وحكى ابن العربى من حديث أبى الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج اذا مر يلت سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان ربكم اللات قد دخل فى جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخل وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحرث بن كعب وقال لهم عمرو ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحر تهامة فبنوا على صخرته بيتا يعبده أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى ويطوفون حوله ويسمونه الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة » ولهدمه خبر مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة للصلح لتيقنهم الا طاقة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشرافهم فيهم كنانة وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبى الاسلام

(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بنى معتب .

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نغترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام . قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رءوس أموالكم . قالوا فالخمر فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدموها . قالوا هيهات لو تعلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك ياعبدياليل ما أحمقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك ياابن الخطاب ثم قالوا يارسول الله تول أنت هدمها فاما نحن فلا نهدمها أبداً فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة ابن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وانكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبة فأساً كبيرة وقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشيا على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يامغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجدّ على هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يامعشر ثقيف ماقصدت الا الهزء بكم انما هي لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها فحفروه حتى أخرجوا ترابها وحرقها بالنار ثم أخذوا حليها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفى اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

وننسى اللات والعزى وودا ونسلبها القلائد والشنوفا

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى ثقيفا عن العود اليها

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر

ان التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق ـ صنم لبكر بن وائل كان بسلمان (عن تاج العروس)

المدان ـ صنم وبه سمى عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب ـ صنم كان بحضرموت اليمن وذو مرحب ربيعة بن معديكرب كان سادنه اى حافظه (عن تاج العروس)

مناة ـ صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحى من البلقاء من أرض الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . ان العرب دانت للاصنام واتخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبدمناة وزيد مناة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم يكن أحد أشد اعظاما له من الاوس والخزرج ومناة هى التى ذكرها الله تعالى فى قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى اسلمها اللئام (٢) فى رواية اذكر هوا المصاع ـ والمصاع القتال

(٣) قال السهيلى مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثالثة اللات والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التى كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه فهما مناتان واحداهما غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتها

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهداهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره فقال

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما لعلى . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما. ويقال ان عليا وجدهما فى الفلس صنم لطيء حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمه وكانت الاوس والخزرج يخصونها دون غيرها بالزيارة والهدية »

وروى ابن العربى عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحى نصب مناة على ساحل البحر مما يلى قديد وكانت الازد وغسان يحجونها و يعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين

مناف ـ صنم به سمى عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدرى أين كان ولا من نصبه

منهب ـ صنم ذكره الجاحظ فى التربيع والتدوير

نائلة ـ صنم (انظر أساف)

نسر ـ صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحى حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا فى أشعارها وأشعار العرب وأظن ذلك كان لانتقال حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية »

---

(١) فى قول آخر ان النبي بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره فى الشعر عمرو بن عبد الجن الجاهلى فقال

اما والدماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما

نصّر ــ صنم (عن المخصص)

نهم ــ صنم عبدته مزينه وبه سمت عبدنهم وكان سادنه خزاعى بن عبد نهم من مزينة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره للاسلام فكسر صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لاذبح عنده عتيرة نسك كالذى كنت أفعل

فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أبكم ليس يعقل

أبيت فدينى اليوم دين محمد اله السماء الماجد المتفضل

ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة

هبل ــ كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هُبل خزيمة ذكر ذلك أبو المنذر وحكى ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحى من مأرب فنصبه فى مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه واختلف فى موضعه فالشهرستانى ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر التى كانت فى جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدى الى الكعبة . وكانت تسمى الاخسف وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملا فما خرج عملوا به وانتهوا اليه

ود ــ صنم عبدته كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحى أتى شط جده فاستثار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه ودا فحمله الى وادى القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمى به ثم سمت العرب به بعد وجعل عوف ابنه عامرا الذى يقال له عامر الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالاسلام . قال الكلبى فحدثنى مالك بن حارثة الاجدارى انه رأى ودا قال وكان أبى يبعثنى باللبن اليه فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذا وكان رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه و بين هدمه بنو عبد ود و بنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال الكلبى فقلت لمالك بن حارثة صف لى ودا حتى كانى أنظر اليه قال كان تمثال رجل كاعظم مايكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متزر بحلة ومرتد بأخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة(٢) فيها نبل » وفى ود يقول الشاعر

حياك ود فانا لايحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزما

ودع ـ صنم (عن المخصص)

ياليل ـ وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)

اليعبوب ـ كان لجديلة طيئ صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده اليعبوب صنما عبدوه فلذلك قال عبيد

فتبدلوا اليعبوب بعد الههم صنما فقروا ياجديل وأعذبوا

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق ـ صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحى همدان فدفع الى مالك ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق فاتخذته خيوان فكان بقرية يقال لها خيوان(٣) من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها من العرب ولم أسمع لها أو لغيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنعاء واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه)

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجعبة (٣) خيوان بطن من همدان كما فى ابن هشام

أقول قد ذكره فى الشعر مالك بن نمط الهمدانى فى قوله :

يريش الله فى الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش(١)

يغوث ـ صنم ـ قال أبو المنذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر

وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح

ودفعه عمرو بن لحى الى أنعم بن عمرو المرادى فكان بأكمة باليمن يقال لها مذحج تعبده مذحج ومن والاها

﴿ كثرة الاصنام ﴾

ليس فى الاستطاعة حصر أصنامهم فى الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد . وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الزمخشرى انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم . ولما دخل رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن بسية قوسه (٢) فى عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبى طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام الق صنمهم الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق الا صنم خزاعة موتدا بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تمكن منه فقذفه فتكسر ثم أخرجت من المسجد فحرقت وفى تكسيرها يقول فضالة بن عمير ابن الملوح الليثى (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والاسلام

( ) يريش ويبرى من رشت السهم وبريته ثم استعير فى النفع والضر قال سويد

فرشنى بخير طالما قد بريتنى وخير الموالى من يريش ولا يبرى

(٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن الكلبى فى كتاب الاصنام لراشد بن عبد الله السلمى

أو ما رأيت محمداً وجنوده(١) بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا(٢) والشرك يغشى وجهه الاظلام

وقال تميم بن أسد الخزاعى

وفى الاصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحصر أما فى الحضر فذكر ابن اسحاق ان أهل كل دار اتخذوا فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول مايصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله وحده قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب . وأما فى السفر فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه رباً وجعل الثلاثة اثافى لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك قال أبو المنذر «واستهترت العرب فى عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً ومنهم من اتخذ صنما ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما من الحرم واما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الانصاب وسموا طوافهم الدوار» واتخذ كثير منهم فى داره صنما وكثيرا ما يسميه بأسم الصنم الذى تعبده القبيلة ويتخذه على مثاله ليتمكن من عبادته وهو فى داره حكى ابن هشام فى سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بنى سلمة وأشرافهم كان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون تتخذه الها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بنى سلمة كانوا يدلجون (٣) بالليل على صنمه فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤) على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه

---

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحى ساطعاً (٣) أدلج سار أول الليل وادّلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق فى أى وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا أمسي و نام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلها لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر فى قرن(١)
أف لملقاك الها مستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن(٢)
الحمد لله العلى ذى المنن ... الواهب الرزاق ديان الدين (٣)
هو الذى أنقذنى من قبل أن ... أكون فى ظلمة قبر مرتهن

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزا عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادنا له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعالب) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فقال

لقد خاب قوم أملوك لشدة ... أرادوا نزالا ان تكون تحارب
فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ... ولا أنت دفاع اذا حل نائب

---

(١) القرن الحبل (٢) مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه و (الغبن) يكون فى الرأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلى الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه　　لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فآمن وسأله عليه الصلاة والسلام عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه

(وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فاذا لم نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . وقال أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهراً طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر

أكلت حنيفة ربها　　زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم　　سوء العواقب والتباعة

وقال رجل من بنى تميم

أكلت ربها حنيفة من جو　　ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الاصنام لا لذاتها بل لتقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم عنده روى انهم كانوا يقولون فى طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فجعلوا عبادتها وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم فى غير ما آية من كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله فى قوله (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وما أسرع تزلزل هذه العقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قيضوا لابى بكر رجلا يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو فى القوم فقال يا أبا بكر قم الى فقال الام تدعونى قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فمن أمهم فسكت طلحة وقال لاصحابه أجيبوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم ياأبا بكر فانى أشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وخلف الشنفرى بثياب الاقيصر فقال

وان امرأ اجار عمرا ورهطه على وأثواب الاقيصر يعنف

(وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحللوا لها وحرموا وسيبوا لها السوائب والبحائر (وكانوا) يحجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون بها تقربا اليها وشاهده قول امرىء القيس يشبه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فعن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار فى الملاء المذيل

(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبغ الفزارى

واننى والذى نغم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل

(وكانوا) يستقسمون عندها بالازلام (وكانوا) يجعلون لها نصيبا من انعامهم وحروثهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبى نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات

(وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد اللات وعبد العزى وامرىء القيس فغير النبى عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء أصحابه كذلك بعبد الله وعبد الرحمن و(كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحلف بها كذبا يستوجب نقصا فى الاموال والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا باسمائها فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك

و(كانوا) ينذرون لها النذور ومنها مولى السائبة وهو ماسيب نذرا للآلهة

فلا يمنع من ماء ولا كلأ وان كان رقيقا وأعتقه مالكه سائبة فلا يعقل عنه ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . وممن اعتق سائبة سالم مولى أبى حذيفة اعتقته قتيبة بنت يعار وقيل اسمها ثبيتة بنت يعار فانقطع سالم الى أبى حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبى حذيفة

و(كانوا) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما بيقر من يمشى الى الجلسد (١)

و(كانوا) يستعينون بها فى حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا فى صلاتهم (اياك نعبد واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و(كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ الليثى

وقرن قد تركت الطير منه كمعتنز العوارك من مناف (٢)

و(كانوا) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن فى ذلك عند ذكر الصنم بوانة و (كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين فمنها (الفَرَع) وفسره الشافعى بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه لاحد رجاء البركة فى الام وكثرة نسلها وفسره أبو على القالى بأنه ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقباً آخر وفى المحكم الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر وعن أبى مالك انه البكر ينحره الرجل للصنم اذا بلغت ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق الفرع أيضا على الطعام الذى يصنع لنتاج الابل كالخرس للولادة وقال الميدانى فى مجمع الامثال عند قولهم فى المثل (أول الصيد فرع) ما نصه الفرع أول

---

(١) البيقرة أن يعدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتنز المتنحى فى ناحية ــ و(مناف) صنم

ولد تنتجه الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول اذا تمت ابلى كذا نحرت أول نتيج منها و(كانوا) اذا أرادوا نحره زينوه وألبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة فى شدة البرد

وشبه الهيدب العبام من الاقــوام سقباً مجللا فَرَعا (١)

وأفرع القوم اذا ذبحوا الفَرع يقال أفرع اذا أراق الدم مأخوذ من الفرع ومنه قولهم للضبع اذ وقعت فى الغنم

أفرعت فى فرارى كأنما ضرارى أردت ياجعار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهى كما قال أبو عبيد . ذبيحة كانوا يذبحونها فى الجاهلية فى رجب يتقربون بها لاصنامهم وهى الرجبية. ولغيره انهم كانوا ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها فى رجب عتيرة . وفى الصحاح العتيرة هى أن الرجل كان يقول فى الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترت منها عتيرة فى رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعشر الاول من رجب. وروى الحميدى انها الشاة التى تذبح عن أهل بيت فى رجب وسميت بذلك لذبحها وهو العتر . وفسرها النووى بانها ذبيحة كانوا يذبحونها فى العشر الاول من رجب ويسمونها الرجبية وفيها يقول النابغة الجعدى وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفَرَع والعتيرة لقوله عليه السلام فى الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهى محمول على ما اذا كان ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون فى الجاهلية أما اذا لم يقصد بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل مارواه البيهقى بسنده عن الحارث بن عمر قال أتيت النبى بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة فقال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولكنهم نهوا عن تخصيص ذبح العتيرة فى رجب لحديث ان رجلا نادى رسول الله

(١) الهيدب الغبى الثقيل و(العبام) العى الثقيل و(السقب) الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٢) الفرار الغنم و(جعار) كقطام الضبع

انا كنا نعتر عتيرة فى الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله فى أى شهر كان لما فى التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتمييزها بالعبادة من غير نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول مايولد لان رسول الله لما سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تتركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه فى سبيل الله خير من أن تذبحه فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفىء اناءك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبى على القالى فى أماليه (الحلان والحلام فويق الجدى وأنشد لابن احمر

تهدى اليه ذراعُ الجدى تكرمة   اما ذبيحا واما كان حلانا

فالذبيح الذى يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل فى كليب حُلاّم   حتى ينال القتل آل همام

يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به »

و(كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ يلطخونها بدمائها يلتمسون بذلك الزيادة فى أموالهم ودفع المكروه عنهم وشاهده قول زهير بن أبى سلمى

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة   كمنصب العتر دمى رأسه النسك(٥)

---

(١) البكر الفتى من الابل والانثى بكرة و(ابن المخاض) الفصيل اذ لقحت أمه وقيل مادخل فى السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل وان لم تكن حاملا و(ابن اللبون) ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكمل وقيل اذا دخل فى الثالث والانثى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد انه لاشبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنه فكانه اذا فعل ذلك كفأ اناءه وأراقه (٤) يعنى تفجعها بولدها (٥) معنى البيت

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبهه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرؤ من بنى غنم
رأى قدعا فى عينها اذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع فى القسم(١)

وكذلك كانوا يصنعون اذا نحروا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا) يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا فى ذلك حتى قالت كفار قريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه فحرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (٢) وتبعت نصارى العرب كفار قريش فى تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فعلم سوء صنيعهم هذا من هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرم أكل ذبائح المشركين ومن قوله فى ذلك (يامعشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبحونها لغير الله)

ومن أنواع قرابينهم فى الجاهلية البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد ذكر الثلاثة الاخيرة فى قول الشاعر

حول الوصائل فى شريف حقة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطاة وأشرف على رأس (مرقبة) وهى المكان المرتفع حيث يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر الذى يعتر عليه وهو النصب و(العتر) ذبح كان يذبح فى رجب (١) القدع ضعف البصر من ادمان النظر و(الغبغب) المنحر مهراق الدماء(٢) فسر الفسق بمتروك التسمية عمدا لقوله تعالى أو فسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل ويقال فى جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لاتحمل و (الشريف) اسم موضع واذا طعنت الابل فى الرابعة فهى حق وحقة و (وصائل) ووصل جمع وصيلة و (سيب) وسوائب جمع سائبة ـ وفى نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب البحيرة بغير علم السائبة لتتميز عنها واعلموا الحامى بغير علم الفحول وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة »

ولنبين معانيها فنقول ، أما البحيرة فهى فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها وحرموا نحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بأنها بنت السائبة (١) وتعقبه ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف ولا يتصدق به وتهمل لآلهتهم

وقال الكلبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنها وشقوها وتركت لا يشرب لها لبن ولا تركب قيل ولا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء . وقيل البحيرة الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة أبطن وتترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هى فى الشاة خاصة اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التى منع لبنها للطواغيت فلا تحلب وقيل هى السقب الذى اذا ولد شقوا أذنه وقالوا اللهم ان عاش فقني وان مات فذكى فاذا مات أكلوه . وقيل التى تترك فى المرعى بلا راع

أما السائبة فهى فاعلة من سيبته أى تركته وأهملته فهو سائب وهى سائبة قال ابن اسحاق هى الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهى البحيرة بنت السائبة وتعقبه

---

(١) من معانيها فى القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسيبها ان برئ من مرضه أو ان أصاب امرا يطلبه فاذا كان ذلك اساب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً (١) وكانت لا تمنع من ماء ولا كلأ ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود انها التي تسيب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بانها الشاة اذا اتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناثهم (٢) الا ان يموت منها شئ فيشترك في أكله ذكورهم وأناثهم. وتعقبه ابن هشام بان الوصيلة عند العرب هي التي تلدامها اثنين في كل بطن فيجعل صاحبهما لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجرى مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

---

(١) نقل القلقشندى في صبح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قال كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمد الى البعير الذى كملت به المائة فاغلق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد امأت (٢) يروى فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون أناثهم (٣) أى الانثى (٤) العناق كسحاب الانثى من أولاد المعز جمعه أعنق وعنوق

كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشى الا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فتترك معه وينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء . وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انثى تركت فى الغنم وان ذكرا وأنثى فكقول ابن عباس

وقال الزجاج هى الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهتهم واذا ولدت انثى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها أى دفعت عنه الذبح فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وقيل هى الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى أبقوها وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها . وقيل الوصيلة من الابل هى الناقة التى وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها . وقيل أنها الناقة التى تبكر فتلد أنثى ثم تثنى بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهتهم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يجز وبره وخلى فى ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أناث متواليات فيحمى ظهره . وقال الشافعى انه الفحل يضرب فى مال صاحبه عشر سنين وقال الفراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال أبو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور . وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بنى قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عامر يوم سلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى أبله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالابل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للغلام رد على تلك الناقة لأركبها في أثر القوم فقال الغلام انها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحلال له» فجرت مثلا لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ماذهبنا اليه مارواه أبو هريرة ان النبي عليه السلام قال ان عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أول من غير دين اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله: قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيته في النار يؤذى أهل النار ريح قصبه فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من بحر البحيرة عمرو بن لحى وهو أبو خزاعة من القحطانية (١) وأخبر في حديث زيد بن أسلم أن أول من بحرها رجل من مدلج وهم بطن من كنانة بن خزيمة بن مدركة من العدنانية . وأوليتهما انما هي بالنسبة لمن اتبعهما فيما ابتدعا فلا ينافي أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد أبطل الشارع ذلك وحرمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء (٢) سيجزيهم

(١) قال القاضي عياض المعروف في نسب خزاعة انه عمرو بن لحى ابن قمعة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بني مدلج

(٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرموا من الحرث والانعام الا من

وصفهم (١) انه حكيم عليم »

الاستقسام بالازلام

من عادتهم معرفة ما قدر لهم بالاستقسام بالازلام أى القداح فاذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو تجارة أو أمرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهى ثلاث قطع من الخشب مكتوب على بعضها نهانى ربى وعلى بعضها أمرنى ربى وبعضها غفل كذا قال الفراء فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا . وقيل كان يستقسم بقدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل. فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما ثم مضى فى ذلك فقد مضى وهو يرجو ويخاف . وذهب ابن ظفر الى أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الاخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيسأل الصنم أن يوضح له ماسأل عنه بضرب القداح . وجعلها ابن هشام سبعة أيضا لكنه اسقط فضل العقل وجعل سابعها للمياه اذا أرادوا أن يحفروا المياه ضربوا به فما خرج عملوا به وذكر انها كانت عند الصنم هبل شاءوا من خدمة الاوثان والرجال دون النساء . وكانوا يحرمون ظهور السوائب والبحائر والحوامى وكانوا يحرمون ذكر اسم الله على بعض الانعام فلا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها كما حرموا ذكر اسمه تعالى على ما ذبح للاصنام وجعلوا ما فى بطونها للذكور دون الاناث. وفى الآية من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات حكى البخارى فى التاريخ ان عمرة روت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعمد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى « وقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا » (١) أى سيجزيهم الله بما كذبوا عليه فى التحليل والتحريم

فكانوا يذهبون اليه اذا أرادوا أمراما يستشار فيه ويعطون الذى يضرب بالقداح مائة درهم وجزور فان شكوا فى نسب أحد قربوا من يشكون فى نسبه ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ويأمرون صاحب القداح أن يضرب بالقداح الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف واذا تنازعوا فى العقل وهى دية المقتول أحضروا المتهم بالقتل واستقسم لهم الامين بقدحين أحدهما موسوم بالعقل والآخر غفل فان خرج الموسوم بالعقل تحمل الدية وان خرج الغفل لا وان اشتبهوا فيمن يحمل العقل منهم ضربوا بهذين القدحين أيضا فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شئ فان اختلفوا فيه ضرب بالقدح الموسوم بفضل العقل فان خرج عليه أداه واذا أرادوا معرفة ما فى فعل أمر من خير أو شر أجال لهم أمين القداح قدحى أمرنى ربى ونهانى ربى (١) فان خرج قدح الامر ائتمروا وباشروا المسئول عنه من حرب أو سفر أو زواج أوختان أو بناء أونحو ذلك وان خرج قدح النهى أخروا ذلك العمل الى سنة أخرى فاذا انقضت استقسموا مرة أخرى

هذا ماذكره الثقات ويتلخص من كلامهم ان الاستقسام عام وخاص فالعام مايزاوله كل واحد بان يعمد الى ثلاث قداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فيضعها فى خريطة ويجيلها ثم يخرج منها واحدا فان خرج الآمر فعل وان خرج الناهى ترك وان خرج الغفل أعاد . والخاص وهومايراد منه الحكم لامجرد الاستشارة ويكون لدى سادن الصنم كما اذا أرادوا معرفة من عليه العقل أوغير ذلك . وقال ابن اسحاق كان لهبل سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والنكاح وكان قربانه مائة بعير . وكان له حاجب. وكانوا اذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا

(١) يروى ان الاستقسام حينئذ بقدحين كتب على احدهما نعم وعلى الآخر لا

انا اختلفنا فهب السراحا   ثلاثة ياهبل فصاحا
الميت والعذرة والنكاحا   والمبرئ المريض والصحاحا
ان لم تقله فر القداحا

ولم يقصرها القلقشندى فى صبح الاعشى على سبعة لقوله « كانوا اذا ارادوا فعل امر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداحا مكتوبا على بعضها افعل. وعلى بعضها لا تفعل وعلى بعضها نعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذ وعلى بعضها سر وعلى بعضها سريع فاذا أراد احدهم سفرا مثلا اتى سادن الاوثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها كان خيرا له فاخرجه فما خرج له عمل به واذا شكوا فى نسب رجل أجالوا القداح وفى بعضها مكتوب صريح وفى بعضها مكتوب ملحق فان خرج الصريح انبتوا نسبه وان خرج الملحق نفوه وان كان بين اثنين اختلاف فى حق سمى كل منهما له سهما وأجالوا القداح فمن خرج سهمه فالحق له »

ومن شواهد الاستقسام عند النصب قول طرفة بن العبد

للفتى عقل يعيش به   حيث تهدى ساقه قدمه
أخذ الازلام مقتسما   فأتى اغواهما زلمه (١)
عند انصاب لها زفر   فى صعيد جمة ادمه (٢)

واخبار استقسامهم كثيرة فمنها ماحكاه الاصبهانى وغيره انهم كانوا يستقسمون عند ذى الخلصة وان امرأ القيس لما قتل بنو أسد اباه حجراً اخذ أزلامه وأتى الصنم ذا الخلصة فاستقسم فخرج له القدح الذى يكره فكسر الازلام وضرب بها وجه الصنم وقال لو كان ابوك قتل ماعقتنى ثم انشد

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا   مثلى وكان شيخك المقبورا

(١) يروى : فا فاض القدح مقتسما و(اغواهما) من الغواية وثنى الضمير فى اغواهما وهو للازلام لان الشعر لحكم قافيته يحتمل ما لايحتمله النثر و(الزلم) واحد الازلام

(٢) الانصاب الحجارة التى كانو يذبحون عليها و (الصعيد) التراب و (جمة) كثيرة و (ادمه) جلوده يعنى جلود ما حمل الرجل الى الانصاب

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر ببنى أسد . قال ابو المنذر فلم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعد ذلك حتى جاء الاسلام فكان امرؤ القيس أول من أحفره

ومن ذلك ما حكاه ابن اسحاق «أن عبد المطلب بن هاشم شرع فى حفر بئر زمزم فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قلعية (١) وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شىء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شىء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أسودين له وقدحين أصفرين للكعبة وقدحين أبيضين لقريش وضرب صاحب القداح بها عند هبل أعظم أصنامهم وهو الذى عناه أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال اعل هبل أى أظهر دينك فخرج الاصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون

ومنها ان قريشا استقسمت فى غزوة بدر الكبرى عند هبل للخروج لحرب رسول الله فاستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة فخرج القدح الناهى فاجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل وخرج زمعة بن الاسود حتى اذا كان بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها فخرج الناهى عن الخروج فلقى غيظا ثم أعادها الثانية فلقى مثل ذلك فكسرها وقال ما رأيت كاليوم قدحا اكذب

ومن الشواهد على استقسام الرؤساء بالازلام قول شمعلة بن أخضر الضبي

جلبنا الخيل من أطراف فلج ترى فيها من الغزو أقورارا (٢)

---

(١) نسبة الى القلعة بلد ببلاد الهند واليه ينسب السيوف (٢) فلج اسم بلد و (الاقورارا) الضمور والتغير

بكل طمرة وبكل طرف يزين سواد مقلته العذارا (١)
حوالى عاصب بالرأس منا جبين أغر يستلب الدرارا (٢)
رئيس ما ينازعه رئيس سوى ضرب القداح اذا استشارا

على أن منهم الحازم الذى لا يستشير قداحه بل اذا هم بالامر مضى فيه كجدع بن سنان حيث يقول

أتانى قاشر وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
وحذرنى أمورا سوف تأتى أهز لها الصوارم والرماحا
سأمضى للذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلكم قداحا

وقد حدث الاستقسام بالازلام فيهم بعد أن كانوا يعتمدون فى المعرفة على الرؤيا المنامية . وقد رأى رسول الله صورة ابراهيم واسماعيل وفى أيديهما الازلام فقال لقد علموا أنهما لم يستقسما قط وقد حرمه الله تعالى وجعله رجسا أى مأثما وفسقا فى قوله (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقال (وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق) وانما حرمه لانه تهجم على علم الغيب الذى استأثر بعلام الغيوب وقال (لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) فان الغيب لا يمكن ادراكه بصناعة من الصناعات وافتراء على الله فى قوله أمرنى ربى ونهانى ربى وما يدريه أنه أمره ونهاه . ومن الفسق أيضا الرجوع الى الكهنة والمنجمين لان مفسدته كهذه المفسدة

﴿ الاقسام ﴾

اذا أراد أحدهم فعل أمر أو تركه وخشى أن تهن عزيمته قواها بالحلف لان الحنث يوجب المؤاخذة . فكانوا يحلفون بمعبوداتهم وبشعائر دينهم

---

(١) الطمرة الفرس الكريم و (الطرف) الكريم الطرفين من الامهات والآباء (٢) (الدر) النفس وجمعه الدرار يعنى أنه شجاع ينتهب النفوس

وبما عظم فيه ولما كان قصد تعظيم المحلوف به غاية التعظيم هو داعية البر في اليمين وهذا نوع من أنواع العبادة وهى لاتليق لغير الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت فحرم الحلف بالنبي وبأخذ من ذريته وبالكعبة والصالحين ولكن المسلمين خصوصا في هذه الايام لبسوا الدين مقلوبا وفعلوا ما نهوا عنه (وكان العرب) مع اختلاف عقائدهم ونحلهم يحلفون بالله تعالى وبصفاته لانهم ما عبدوا الاصنام الا لتقربهم اليه بل كان الحلف به أعظم ايمانهم قال النابغة الذبياني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وقال أوس بن حجر

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهن أكبر

ومن الحلف بصفاته تعالى قول عنترة العبسى

قسما بالذى أمات وأحيا وتولى الارواح والاجساما

وقول مهلهل التغلبي

قتلوا كليبا ثم قالوا لا تثب كلا ورب البيت ذى الاحرام

وقولهم لا ورب هذه البنية . (١) لا وقائت (٢) نفسى القصير . وقولهم لا والذى لا أتقيه الا بعقله (٣) لا والذى أخرج العذق (٤) من الجريمة (٥) والنار من الوثيمة (٦) لا ومقطع القطر . لا وفالق الاصباح . لا ومهب الرياح . لا ومنشر الارواح . لا والذى مسحت أعين كعبته . لا والذى جلدَ الابل جلودها . لا والذى شق الجبال للسيل والرجال للخيل . لا وبارئ الخلق . لا والذى يرانى من حيث ما نظر لا والذى نادى الحجيج له لا والذى رقصن ببطحائه . لا والذى أمد اليه بيد قصيرة . لا والذى كل الشعوب تدينه .

---

(١) كغنية الكعبة (٢) القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا

(٣) أى كل شيء منى مقتل من حيث شاء قتلنى (٤) النخلة (٥) النواة

(٦) هى الموثومة أى المربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من الحجارة

لا والذى وجهى زمم بيته (١) لا والذى شقهن (٢) خمسا من واحدة لا والذى أخرج قائبة من قوب (٣) وقد أكثروا من الحلف بشمائر الحج ومشاهده لانهم كانوا على اختلاف نحلهم يرون الحج من دين ابراهيم واسماعيل وحلف زهير ابن أبى سلمى بالكعبة فقال

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله   رجال بنوه من قريش وجرهم

وحلفوا بزمزم والحطيم قال ابن دريد وسمي بالحطيم لان أهل الجاهلية كانوا يحلفون به فيحطم الكاذب وحلف زهير بن أبى سلمى بالمنازل من منى فقال

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى   وما سحقت فيه المقاديم والقمل

حتى حلفوا بالابل التى تؤم مزدلفة فقالوا لا والراقصات ببطن جمع وبالتى تؤم منى قال أعشى قيس

حلفت له بالراقصات الى منى   اذا محرم خلفته بعد محرم

وحلفوا بشهر رجب لتعظيمهم له لانه الشهر الذى كانوا يعتمرون فيه ويذبحون فيه العتيرة وهى الرجبية وحلف الوثنيون بالاصنام وبما ألبسته من الثياب وبالانصاب وهى حجارة كانت فى الجاهلية يهل عليها ويذبح وبماهريق لها أو عليها من الدماء قال مهلهل بن ربيعة

قتلوا كليبا ثم قالوا ارتعوا   كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا

كلا وانصاب لنا عادية   معبودة قد قطعت تقطيعا

وقال طرفة بن العبد يخاطب الملك عمرو بن هند

انى وجدك ما هجوتك والا   أنصاب يسفح بينهن دم

وقال النابغة الذبيانى

فلا لعمرو الذى مسحت كعبته   وماهريق على الانصاب من جسد (٤)

ما قلت من سيء مما أتيت به   اذاً فلا رفعت سوطى الى يدى

(١) أى تجاهه وحذاءه. (٢) يعنون الاصابع (٣) يعنون فرخا من بيضة

(٤) رواية فلاورب الذى قد زرته حججا و(الجسد) والجساد الزعفران والمراد به هنا الدم

وقال رشيد بن رميض العنزى

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

وقال المتلمس من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند الملقب بالمحرق

أطردتنى حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تئل (١)

وحلف مهلهل بن ربيعة بالحرام والحل فقال

كذبوا والحرام والحل حتى يسلب الخدر بيضه المحجولا (٢)

وحلف عدى بن زيد وكان نصرانيا بالله والصليب فقال يخاطب النعمان لما حبسه

سعى الاعداء لا يألون شرا عليك ورب مكة والصليب

ارادوا كى تمهل عن عدى ليسجن او يدهده فى القليب

وحلفت النصارى بالابيل وهو الناسك والراهب قال فى لسان العرب (وكانوا يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله) حتى حلف الاعشى بمسوح الرهبان فقال :

حلفت بثوبى راهب الدير والتى بناها قصى والمضاض بن جرهم

وحلفوا بانفسهم فقالوا لعمرى أى وبقائى ولعمرك قال طرفة بن العبد

لعمرك ما أمرى على بغمة نهارى ولا ليلى على بسرمد (٣)

وحلفت العرب بالآباء قال عروة بن الورد

فلا وابيك لو كا ليوم أمرى ومن لك بالتدبر فى الامور

وكانت قريش تحلف بآبائها فنهاهم النبي عليه السلام عن ذلك بقوله لا تحلفوا بابائكم (وكانوا) يحلفون بالملح والرماد كقول الاعشى فى حرب ذى قار فيما رواه الاصبهانى فى الاغانى

حلفت بالملح والرماد وبالعزى وباللات تسلم الحلقه

---

(١) أطردتنى أى صيرتنى طريدا . ويروى والله والانصاب . و(لا تئل) لا تنجو (٢) الحل بالكسر ما جاوز الحرم (٣) الغمة الكرب و(السرمد) الدائم اى اذا هممت بأمر أمضيته وأمضى همى بالليل ولا ابالى طوله

حتى يظل الهمام منجدلا ويقرع النبل طرة الدرقه

وقد اختلفوا فى المراد باسحم المقسم به من قول أعشى قيس

رضيعى لبان ثدى ام تحالفا باسحم داج عوض لا نتفرق

على سبعة أقوال ذكرها ابن السيد البطليموسى فى الاقتضاب أولها هو الرماد وكانوا يحلفون به قال الشاعر

حلفت بالملح والرماد وبالنـــار وبالله تسلم الحلقـة

حتى يظل الجـواد منعفرا وتخضب النبل غرة الدرقه

(ثانيها) هو الليـل (ثالثها) هو الرحم (رابعها) هو الدم لانهم كانوا يغمسون ايديهم فيه اذا تحالفوا حكى هذه الاقوال الاربعة يعقوب وحكى غيره وهو (الخامس) انه حلمة الثدى وقيل وهو(السادس) زق الخمر وقيل وهو (السابع) دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام وجعله اسحم لان الدم اذا يبس اسود قال ابن السيد وابعد هذه الاقوال من قال انه الرماد لان الرماد لايوصف بانه اسحم ولا داج وانما يوصف بأنه أورق وممن ذكر حلفهم بالنار ابن قتيبة فى ابيات المعانى عند الـكلام على نار التحالف حيث قال كانوا يحلفون بالنار وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدنة فاذا تفاقم الامر بين القوم حلف بها انقطع النزاع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادنها اذا أتى برجل هيبـه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والـكبريت فاذا وقع فيها استشاطت فيقول هذه النار قد تهددتك فاحلف فان كان مريبا نـكل وان كان بريئا حلف قال أوس بن حجر يصف عيرا على مرتفع من الارض

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (١)

وقال الـكميت

هم خوفونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهول

وقال ابو عبيدة كان فى الجاهلية لـكل قوم نار وعليها سدنة وكان اذا وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمـين الى النار فيحلف عندها

---

(١) كمحدث الحلف

وكان السدنة يطرحون بها ملحا من حيث لا يشعر يهولون بها عليه قال الكميت وذكر أمراة

فقد صرت عما لها بالمشيب زوالا لديها هو الازول
كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وماهولوا (١)

وفى القاموس « التهويل شىء كان يفعل فى الجاهلية اذا أرادوا أن يستحلفوا انسانا أوقدوا نارا ليحلف عليها وكان السدنة يطرحون فيها ملحا من حيث لا يشعر يهولون بها عليه والجمع التهاويل » . والتحليف عند النار أو بها أثر من آثار المجوسية سرى لهم من مجاورتهم لفارس

وحلفت الكهان بعاجل قدره وعظم خطره كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر وامتازوا عن غيرهم بكثرة الايمان فى صدر كلامهم وأخبارهم بالمغيبات كقول سلمى الهمدانية الحميرية

والخفو والوميض (٢) والشفق والاعريض (٣) والقلة والحضيض ان خزعا لمنيع الجيز (٤) وقول زبراء أمة حويلة والليل الغاسق واللوح (٥) الخافق والنجم الطارق والمزن الوادق ان شجر الوادى ليأدوا (٦) ختلا وقول الكاهن الخزاعى لما تنافر اليه أمية بن عبدشمس وهاشم بن عبد مناف والقمر الباهر . والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر ولامية أواخر . ولقد اقسم الله فى القرآن بكثير من الازمنة والامكنة والاشياء وحاشاه ان يحتاج فى تأكيد اخباره الى القسم بشىء هو صنع قدرته بل اقسم لاغراض منها تقرير وجود المقسم به فى عقل من انكره وتعظيم شأنه عند من احتقره أو ليتنبه الغافل الي موضع العبرة فيه او غير ذلك من الاغراض الشريفة

(١) هاله هولا افزعه كهوله فاهتال

(٢) الخفو اللمعان الضعيف (والوميض) اشد من الخفو (٣) الاعريض حجارة النورة (٤) الجيز الناحية (٥) اللوح بضم اللام الهواء بين السماء والارض واللوح بفتح اللام العطش (٦) ادوت له ادوا ختلته

أما الحلف بالطلاق فما كانت العرب تعرفه ولا تستحلف به وفى محاضرات الادباء : واول من استحلف به ابن مسلمة وكان واليا على كرمان استحلف جنده بالطلاق فقال بعضهم

رايت هذيلا احدثت فى طلاقها   طلاق نساء لم يسوقوا لها مهرا

وقيل ان اول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب استحلف الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله » ويبعد صدور ذلك عن العباس خاصة وعن العرب عامة لانهم لم يكونوا يذكرون الطلاق الاعند ارادة حل عقدة الزواج وانى لم اعثر على ذكر ذلك فى سيرة من السير ولو صح لنقل واستفاض . وكانت بيعة رسول الله ان يقول لمن بايعه بايعتك او ابايعك على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره فاحدث الحجاج كما قال ابن قيم الجوزية بيعة غير هذه تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعتاق وصدقة المال والحج و (كانوا) يغلظون الايمان بالحلف عند الامكنة المحترمة كالانصاب وشاهده قول طرفة بن العبد

فأقسمت عند النصب انى لهالك   بمتلفة ليست بغبط ولا خفض(١)

او مكة كقول زهير بن ابى سلمى

فتجمع أيمن منا ومنكم   بمقسمة تمور بها الدماء (٢)

او الحطيم وفى القاموس « والحطيم حجر الكعبة او جداره او ما بين الركن وزمزم والمقام وزاد بعضهم الحجر او من المقام الى الباب او ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية تتحالف هناك »

وكانوا يحرصون على البر فى اليمين وعدم الحنث فيها حتى لقد زعم علماء كندة كما حكاه الاصبهانى فى الاغانى ان جد امرئ القيس وهو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة خرج الى الصيد

(١) المتلفة المفازة و (بغبط) أى تغتبط (٢) المقسمة موضع القسم وأراد بها مكة حيث تنحر البدن فتسيل دماؤها

فألظ بتيس (١) من الظباء فأعجزه فآلى الية ألا يأكل اولا الا من كبده فطلبته الخيل ثلاثا فأتى بعد ثالثه وقد هلك جوعا فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده فأ كلها حارة فمات وفى ذلك يقول الوليد بن عدى الكندى فى بنى بجيلة

فشووا فكان شواءهم خبطا له ... ان المنية لا تجل جايلا

و (كانوا) لايتركون المحلوف عليه الا اذا وجدوا مخرجا من اليمين. وشاهده ماذكره ابن رشيق فى العمدة من ان المنذر بن ماء السماء حلف فى يوم اوارة الاول ليقتلن بكرا على راس اوارة حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم رضيع المنذر مالك بن كعب العجلى وقال للمنذر انا اخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض وبر يمين المنذر فكف عن القتل وماروى ان الحارث ابن عباد آلى الا يصالح تغلب حتى تكلمه الارض فلما كثرت وقائعه فى تغلب ورات تغلب انها لا تقوى عليه حفروا سربا تحت الارض وادخلوا فيه رجلا وقالوا اذا مر بك الحارث فغن بهذا البيت

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فلما أتى الحارث على ذلك الرجل غنى بذلك البيت فقيل للحارث بر قسمك فأبق بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب (وكانوا) يخافون عقوبة الله فى الحنث ولا نعلم من تجرأ على الله بالحلف حانثا قبل امرئ القيس فى قوله

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... وان قطعوا رأسى لديك وأوصالى (٢)

حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما ان من حديث ولا صالى

ولقد نحا نحوه الشماخ بن ضرار الغطفانى فى الاسلام فقال

وجاءت سليم قضها بقضيضها ... تمسح حولى بالبقيع سبالها (٣)

يقولون لى يا احلف ولست بحالف ... أخادعهم عنها لكيما أنالها (٤)

---

(١) الظ به لازمه ولم يفارقه (٢) تمارفوا يمين الله حلفا به تعالى (٣) قضها بقضيضها بالنصب اى منقضاً آخرهم على اولهم و (البقيع) موضع بالمدينة و (السبال) جمع سبلة وهى مقدم اللحية

(٤) عنها أى عن الحلفة المفهومة من احلف اى يقولون احلف فأقول

ففرجت هم النفس عنى بحلفة ... كما قدت الشقراء عنها جلالها (١)

يقول كشفت هم النفس عنى باليمين الكاذبة وخرجت من الهم كما خرجت الفرس الشقراء من جلالها . ومثله قول بعضهم

سألونى اليمين فارتعت منها ... ليغروا بذلك الانخداع

ثم ارسلتها كمنحدر السيـل تعالى من المكان اليفاع

ومثله قول ابن الرومى

وانى لذو حلف كاذب ... اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

وهل من جناح على مسلم ... يدافع بالله ما لا يطيق

﴿ التحالف ﴾

التحالف التعاقد . ولقد دعانا لذكره ما يكون عنده من الاقسام بما هو محترم دينا فقد كانت قبائلهم لكثرة شنهم الغارات وطلبهم الثارات ووقوع العداوة والبغضاء فيما بين بعضهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيانها ان تتحالف مع قبيلة او اكثر حسبما تقتضيه حاجتها الى البقاء او رغبتها فى الانتصار على الاعداء وقد يكون التحالف لكف القتال والصلح بعد الضلال . وكانوا يغمسون ايديهم فى دم أو خلوق أو رب او غير ذلك عند الحلف كناية عن صبغتهم بصبغة واحدة فمن التحالف بغمس اليد فى الدم ما كان من تحالف قبائل عبد الدار ومخزوم وعدى وسهم وجمح فانهم عند ما تحالفوا على الا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً اخرجوا جفنة مملوءة دم جزور نحروها وقالوا من ادخل يده فى دمها فلعق منه فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك .

ومن ذلك ايضاً ما كان من امر الدم الذى قربوه عندما ارادوا الحلف مع الهجرس بن كليب وذكر خبر ذلك الاصفهانى فى الاغانى قال

لا احلف حتى يقبلوها منى فاحلف فتنقطع الخصومة (١) قدت شقت والجل بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به

« ان جساسا لما قتل كليبا وكانت اخت جساس تحت كليب فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب بين الفريقين زمنا طويلا ثم صاروا الى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت اخت جساس غلاما سمته الهجرس رباه جساس فكان لا يعرف ابا غيره فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بنى بكر بن وائل كلام فقال البكرى ما انت بمنته حتى الحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر فلما آوى الى فراشه ونام الى جنب امراته وضع انفه بين ثدييها فتنفس تنفسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد افلتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس ثائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرضف حتى اصبح فارسل الى الهجرس فأتاه فقال له انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتى وانت معى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثلما اخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس انا فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بلأمته وفرسه فحمله جساس على فرس واعطاه لأمة ودرعا . فخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا فيه من العافية . ثم قال وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال . اما وفرسى واذنيه ورمحى ونصليه . وسيفى وغراريه لايترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه » . ومن ذلك ما كان من بكر بن وائل وذلك ان جساس بن مرة لما قتل كليبا اخذه ابوه فأوثقه رباطا وجعله فى بيت ثم دعا بطون بكر بن وائل واستشارهم فى امره . فقال سعد بن مالك بن ضبيعة البكرى لا والله ما نعطى تغلب جساسا ولنقاتلن دونه حتى نفنى جميعا فدعا بجزور فنحرت ثم تحالفوا على الدم . ومن ذلك ماقيل ان جشعم وهم بطن من انمار سموا بذلك من التجشعم وهو التلطخ بالدم وذلك انهم نحروا بعيرا

وغمسوا ايديهم فى دمه واحتلفوا عليه

ومن التحالف بغمس اليد فى الخلوق ماكان من امر بنى عبد مناف و بنى اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر فانهم تحالفوا على النصرة وغمسوا ايديهم فى جفنة مملوءة طيبا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على انفسهم فسموا بالمطيبين لذلك . ومن ذلك ما روى ان منشم التى ضرب المثل بعطرها فقيل اشأم من عطر منشم ودقوا بينهم عطر منشم كانت امراة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم فى طيبها وتحالفوا عليه بأن يستميتوا فى تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا

ومن التحالف بغمس اليد فى الرب ما كان من أمر بنى عبد مناة بن اد بن طابخة وهم تيم وعدى وعكل وثور فانهم غمسوا أيديهم فى الرب فى حلف على بنى ضبة فلقبوا بالرباب كذا فى العقد الفريد وفى القاموس والرباب احياء ضبة لانهم أدخلوا أيديهم فى رب وتعاقدوا — والرب بالضم سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها وثفل السمن و (كانوا) يوقدون نارا عند التحالف وذكرها الجاحظ فى البيان والتبيين فقال : وكانوا يتحالفون على النار ويتعاقدون ويأخذون العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قولهم ماسرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حلزة اليشكرى .

واذكروا حلف ذى المجاز وماقـ   ـدم فيه العهود والكفلاء

حذر الخون والتعدى وهل تنـ   ـقض ما فى المهارق الاهواء (١)

وقال فى كتاب الحيوان « كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند نار فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافعها على الذى ينقض عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون فى الحلف الدم الدم (٢) والهدم الهدم

(١) الخون الخيانة ويروى الجور و (المهرق) الصحيفة جمعه مهارق

(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمى دمك وهدمى هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته انا ويقال أيضا بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد (ثم الحقى بهدمى ولدمى) فاللدم

(بحركون الدال فى هذا الموضع) (١) لا يزيده طول الشمس الا شدا وطول الليالى الا مدا مابل البحر صوفة وما أقام رضوى فى مكانه ان كان جبلهم رضوى وكل قوم يذكرون جبلهم وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم ويهولون على من تخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها والتخويف من حرمان منفعتها . ولقد تحالفت قبائل من مرة بن عوف عند نار فدنوا منها حتى محشتهم فسموا المحاش وربما تحالفوا وتعاقدوا على الملح قال الشاعر

حلفت لهم بالملح والقوم شهد وبالنار واللات التى هى أعظم

والملح شيئان أحدهما المرقة والآخر اللبن وأنشدوا لشتيم بن خويلد الغزارى

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده

وانشدوا فى قول أبى الطمحان

وانى لارجو ملحها فى بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

وذلك أنه كان جاورهم فكان يسقيهم اللبن كانه يقول كنتم مهازيل والمهزول يتقشف جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم » قال ابن السيد البطليوسى ولانهم كانوا يتحالفون على النار ذكر اعشى بكر النار عند المحالفة فى قصيدته التى امتدح بها المحلق حيث قال

لعمرى قد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار فى يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا باسحم داج عوض لا نتفرق

جمع لادم وهم أهله الذين يلتدمون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته

(١) قال ابن هشام الهدم بفتح الدال الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم لانهم كانوا أهل نجعة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى فهو كقولهم هدمى هدمك أى رحلتى مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب (كانها هدم فى الجفر منقاض)

وعلل العسكرى تحالفهم على النار بأن منفعتها تختص بالانسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان. وأرى ان حلفهم بالنار وتعاقدهم عليها أثر من آثار الديانة المجوسية سرى اليهم من مجاورتهم لفارس ثم رأيت ابن عبد ربه قال فى العقد الفريد فى بيت الاعشى المتقدم « قوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شىء تفعله الفرس لا يتفرقوا أبد الدهر » فاذا كان تحالفهم على الرماد الذى هو أثر النار المقدسة جاءهم من مجاورتهم الفرس فلان يكون تحالفهم على النار جاءهم من مجاورتهم الفرس من باب أولى

﴿ الدعاء ﴾

العربى ككل انسان ذى دين اذا نزل به مكروه لجأ الى معبوده فى كشف الضر عنه واذا أصابه قوى بمصيبة تضرع لبارئه أن ينتقم له ممن ظلمه

وكانوا يعتقدون أن من دعى عليه فاضطجع لم تستجب فيه دعوة الداعى وشاهد ذلك ما حصل عند دعوة خبيب بن عدى وذلك انه قدم رهط من عضل والقارة وهما قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة على رسول الله فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث الينا من يفقهوننا فى الدين فبعث اليهم ستة نفر منهم حبيب بن عدى فغدروا بهم وباعوا خبيبا من قريش بأسيرين هذيل كان بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبى اهاب التميمى لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه فأقام فى أيديهم حتى انقضت الاشهر الحرم ثم خرجوا به الى التنعيم ليصلبوه ورفعوه على خشبة وقتلوه طعنا بحربة قال ابن اسحاق « فلما أوثقوا خبيبا قال : اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبى سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان فلقد رأيته يلقينى الى الارض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه »

﴿ الصابئون ﴾

ينسب الصابئون دينهم الى سيدنا نوح والى ابراهيم الخليل بالتلقى عن نوح

وعن أدريس ومنهم عبدة الاصنام والكواكب والفئة الباقية منهم على معتقدها الالهى بعد أن مزجته بالمقايات يتوجهون في عبادتهم للقطب الشمالى ويصلون ثماني ركعات عند ظهور شفق الشمس الشروق وخمسا وقت الزوال ومثلها وقت غروب الشمس يسجدون في كل ركعة منها ثلاث سجدات بلا انحناء ويتلون في قيامهم وسجودهم كلمات تشتمل على مناجاة ودعوات واستغفار ويصومون في كل سنة ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها يمسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات الا ماحرم منها عندهم يصومون من الثلاثين يوما أربعة عشر يوما متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة وأفلاكها وسبعة أيام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وتسعة ايام في أواخر الصيف موافقة للافلاك السبعة مع فلكى الثوابت والمحيط ويقدمون الضحايا في هياكلهم ومعابدهم للسدنة والفقراء ويعظمون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر الهى فعال في الاجرام السفلية ويمنعون توريث الفاسق من العدل ويعتقدون بعث الارواح لا الاجسام وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة وان الرسل لم يبعثهم الله بل هم ملهمون من المجردات وان الخير من الله والشر من النفوس وان الله لا تدركه الابصار لا في هذه الدار ولا في الدار الآخرة وحرموا تعذيب الحيوان وقتله الا ما أحل أكل لحمه وكلاهما اثم لا يكفر الا بالضحايا المبينة في كتبهم . ذلك هو الاصل ثم تعددت المذاهب واختلفت فبعضها يحرم من النبات والحيوان ما أحله الآخر وبعضها يحل زواج امرأة الاب التى لم تعقب منه والبعض يحرمها مطلقا وبعضها يوجب غسل جراحات القتيل عند دفنه والآخر يحرمه الى غيرذلك من الفروع ثم اشتغلوا بالاهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على أنها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل والصابئون يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك أحدهم ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا

بنوء كذا وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر ولذلك ذكرهم الله تعالى فى الامم الاربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك فى قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فذكرهم فى آية الوعد بالجنة لذلك ولما ذكر المجوس والمشركين وليس منهم سعيد حكم عليهم بالفصل بينهم فى قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وحران دار الصابئة وهم فرق فصابئة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون محاسن ما عليه اهل الملل والنحل من غير تقيد بملة ومنهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف فى التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا

والمشركون منهم يعبدون الله بالتقرب للكواكب والعلويات بأنواع للعبادة من التضرع والابتهال بالدعوات والصلوات وذبح القرابين والبخور والعزائم لتستمد نفوسهم منها بغير واسطة الرسل وأقاموا لها الهياكل للعبادة فكان كفرهم لعبادة العلويات والكواكب

عبادتهم الكواكب وآثار عبادتهم لها

نظر فريق من الناس الى الكواكب نظر المتقدمين من علماء النجوم من حيث تأثير الكواكب فى هذا العالم فجعلوا الموجودات الارضية أثرا للشمس عند قوم وللكواكب بتوزيع التأثير فيها عند آخرين وهذه الطائفة ترى الكواكب مدبرة لهذا العالم وعنها يصدر ما فيه من خير وشر وسعادة ونحس وغير ذلك بسبب أوضاع الكواكب من التثليث والتسديس والتربيع ومقارنة كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة فى درجة واحدة من برج واحد ومن الصابئين من عدل عن معتقده الالهى فاعتقد التأثير للكواكب وهؤلاء ثلاث فرق (الفرقة الاولى) ذهبت الى أن الكواكب واجبة

الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص و (الفرقة الثانية) ترى أن الكواكب آلهة ولكل منها عمل قائم به فى هذا العالم يصدر عنه لا يقدر عليه غيره وانها أبدية الوجود أزلية الاولية تجرى أحكامها لا لغاية (والفرقة الثالثة) ترى أن لهذه الكواكب والافلاك الهاً مبدعا أعطاها قدرة وارادة ذاتية نافذة فى هذا العالم وفوض اليها تدبيره وهذه الطوائف كان لها عصبيات فى بلاد العرب فدانت العرب بهذا الدين واعتقدته وبنوا لها هياكل العظيمة للشمس وقربوا لها القرابين وحجوا اليها وذبحوا لها الذبائح واعتكفوا عندها خاضعين عابدين وأول من دان بهذا الدين من العرب قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت سدودهم وتخربت أراضيهم تفرقوا فى بلاد العرب وقبائلها فانتشر دينهم فى القبائل التى نزلوا بها أو جاوروها والبطون التى سكنوا معها وعاشروها حتى شاع فى بلاد العرب وانتقل منها الى مجاوريهم أهل الحبشة والشأم ومن قبائل سبأ قوم بلقيس وقد حكى القرآن حديث الهدهد لسيدنا سليمان عبادتها وقومها فى قوله «وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون» وعبدت ثمود الشمس وكانوا بين الحجاز والشام بأرض الحجر فدعاهم صالح لعبادة الله تعالى وهدم هياكل الشمس فما آمن به الا قليل . وأخص أنواع عبادتهم للشمس كانت بالسجود لها عند شروقها وعند غروبها وعند توسطها السماء فلهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى هذه الاوقات قطعا لمشابهة الكفار ظاهرا وسدا لذريعة الشرك

وبعض كنانة كانت تعبد القمر والدبران وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون للمشترى ومن العرب من عبد عطارد وبنو طيىء عبد بعضهم سهيلا وبعضهم الثريا وهى عدة كواكب مجتمعة وبعض قبائل ربيعة عبدوا المرزم كمنبر (والمرزمان نجمان مع الشعريين يسمى أحدهما كف الكلب وهو يتبع الشعرى العبور وثانيهما هو الكوكب الاخفى من كوكبى الذراع)وطائفة من تميم عبدوا الدبران وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا الشعرى العبور

وهي الشعرى اليمانية ذكر بعضهم ان اول من سن لهم ذلك أبو كبشة وجزء ابن غالب جد وهب بن عبد مناف وهو أبو آمنة أم نبينا عليه السلام فلما بعث الرسول وخالف العرب فى عبادتهم الاوثان دعوه بابن أبى كبشة (١) لمخالفته لهم كمخالفة أبى كبشة لقومه فى عبادة الشعرى

قال ابن قتيبة « وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان قالوا هذا ابن أبى كبشة أى شبهه ومثله » وخص الله الشعرى بالذكر فى قوله « وانه هو رب الشعرى » اما لعبادة كثير منهم لها واما للاشعار بأن النبي عليه السلام ان وافق أبا كبشة فى مخالفته دين قومه فانه يخالفه فى أن دين أبى كبشة باطل ودين محمد الحق لعبادته الله تعالى

أما آثار عبادتهم للكواكب فمنها تسميتهم أنفسهم بأسماء مضافة لها بالعبودية كعبد شمس وعبد المشترى فان ذلك دليل على عبادتهم لها ومنها تسميتهم للشمس بالاهة والالاهة قال الشاعر

تروحنا من اللعباء عصرا واعجلنا الالاهة أن تؤوبا (٢)

قال الفارسى سموها الاهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها وعلى ذلك نهاهم الله عز وجل عن عبادتها وأمرهم بالتوجه فى العبادة اليه دون ما خلقه وأوجده بعد ان لم يكن فقال « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن »

---

(١) فى القاموس وكان المشركون يقولون للنبي ابن أبى كبشة شبهوه بأبى كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان أو هى كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لانه كان نزع اليه فى الشبه أو كنية زوج حليمة السعدية أو كنية عم ولدها (٢) تروحنا سرنا وقت الرواح وهو العشى أو من الزوال الى الليل و(اللعباء) اسم مكان و (اعجلنا) سبقنا

ومن آثار عبادة الشمس ما يفعله الغلام اذا سقطت سنه وذلك انه كان اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : ياشمس أبدليني بهاسنا أحسن منها ولتجر في ظلمها أياتك أويقول اياؤك وهما جميعا شعاع الشمس زعموا انه يأمن على اسنانه العوج اذا صنع ذلك . والى هذا أشار شاعرهم

شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن اقاح كأقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته بردا أبيض مصقول الاشر (١)

وقال طرفة بن العبد البكري يصف ثغر محبوبته

سقته أياة الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأثمد(٢)

وقال آخر

وأشنب واضح عذب الثنايا كأن رضابه صافي المدام
كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام

وقال آخر

بذى أشر عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

ووجه كون هذه العادة من آثار عبادة الشمس ان الشمس كانت من معبوداتهم في الجاهلية والعبد يطلب من معبوده سؤله والاباء يلقنون عقائدهم لابنائهم فالظاهر أن يكون عابد الشمس علم ولده أن يسأل معبوده الشمس أن تبدله بسنه التي سقطت سنا أخرى خيرا منها بريئة من الفساد والعوج ويكون الولد قد امتثل أمر والده فسمعه غيره من الابناء الذين لم تكن الشمس معبودة لهم ولا لابائهم فقلدوه . وبهذا البيان لا تكون هذه العادة من الاوابد التي

---

(١) أشر الاسنان التحزيز الذي يكون فيها خلقة ومستعملا يقال أشرت المرأة أسنانها حزتها وهذا كان من صنيعهم (٢) أي ثغرها براق الا لثاته فانها حواء و (أسف) ذر عليه و (الاثمد) الكحل و (اللثاث) اللحم الذي تنبت فيه الاسنان و (اياة الشمس) ضوؤها و (لم تكدم) لم تعض و (باثمد) متعلق بأسف أي ذر الاثمد على اللثاة والشفاه وكانت تلك عادتهم التي يستحبونها

لايفهم معناها ولا يزال الخلف ينقل هذه العادة عن السلف فى الولدان اليوم من اذا سقطت سنه رمى بها فى عين الشمس وقال « ياشمس ياشموسة خذى سنة الحمار وهاتى سنة العروسة »

﴿ المجوسية والزندقة ﴾

المجوس يعتقدون نبوة ابراهيم الخليل وقد بحثوا فى كتب الحكماء مقتصرين على مبحثى التكوين والخير والشر فنظروا فى مبحث التكوين الى انفصال الحرارة التكوينية من ممكن الصادر الاول ثم تدرجها الى الحرارة المركزية بالنسبة لبطن الارض ومحيط سطحها وبها صارت الارض ذات رواب وجبال وصحارى وجزائر ونظروا للانسان من حيث تركيبه وأصل نشأته فجعلوه ابن الارض التى هى بنت الحرارة المقابلة عندهم للقدرة الالهية فاتخذوا النار من حيث هى أثر الاله وفيها صفته التكوينية دالا على معبود ومع تقادم الزمن وكثرة تصرف الرؤساء الدينيين فى هذا الاصل اختلفوا فى الاعتقاد حتى قالت طائفة منهم أن النار معبود قائم بذاته ونظر قدماؤهم فى مبحث الخير والشر لقول الحكماء ان البارى بتوحيد ذاته جهة واعتبارا يستحيل صدور التكثر عنه لانه لو صدر الخير والشر عنه لكان عين التكثر فى امكانه وهو باطل فقالوا بوجود فاعلين أزليين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثانى الشر فاعتقدوا بوجود الهين أحدهما نور ومبدأ الخير كله ويسمونه أرمزاد أو يزدان والثانى ظلام ومبدأ الشر كله ويسمونه اهرمان او اهرمن يكون الغالب منهما إله الشر متى كثرت الشرور ومنه يطلب الانسان الشر والبلاء لاعدائه ويغلب إله الخير متى كثرت الخيرات واليه يضرع الانسان فى طلب الخير لنفسه ولاحبائه وهؤلاء هم الثنوية وانتهى الامر بالمتأخرين أن صوروا الههم بصورة على كتفيها صورتا الخير والشر ولما نشأ زرادشت بن بيورشت المتوفى سنة ٤٨٧ قبل الميلاد أبطل القول بألهى النور والظلمة وعلمهم أن الاله واحد وانه خلق ملكى النور والظلام وان الشر فى العالم يصدر عن طبيعة المخلوقات وعند انتهاء العالم تبعث

الاموات للجزاء فيسجن ملك الظلام وأتباعه فى مكان ظلمة وعذاب أبدى ، أما ملك النور وأتباعه فيتمعمون خالدين فى مكان نور وسعادة وشرع لهم شرائع مدونة فى مجلدات والمجوس تقر بنبوته وأتباعه هم الزرادشتية ولم يكن للمجوس هياكل قبله وكانوا يسجدون للشمس لانهم يزعمون انها مسكن الاله وللنار لمشابهتها للشمس فى الحرارة والنور فأمرهم ببناء الهيا كل حتى لايمنعهم مزاج الفلك عن العبادة فى أى وقت وجدد لهم بيوت النيران التى أخمدها منوشهر وأخبرهم انه عرج الى السماء ورأى الله فى سحابة لامعة وسمع صوته ثم هبط منها بقبس من النار اشعلت به النار المقدسة التى فى هياكلهم ولا يجيزون للكهنة نفخها بأفواههم ومن يفعل ذلك فجزاؤه القتل ولا يقربها الكهنة الا وعلى وجوههم براقع لئلا يفسدوها بانفاسهم ولا يطفئونها ليلا ولا نهارا ووقودها حطب نظيف مقشور وان انطفأت لاتجدد الا من نار هيكل آخر . وهو الذى شرع لهم عيد النيروز أى اليوم الجديد فى الاعتدال الربيعى وعيد المهرجان أى الخريف فى الاعتدال الخريفى ولما ظهر مزدك الخارجى فى أيام قباذ ابن فيروز بن يزدجرد زعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس فى الاموال و لاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لاحد على أحد فضل فى شئ وكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى ذاك وكذا فى العبيد والاماء والاموال فكثر أتباعه وعظم شأنه . وكان مما شرعه تحريم ذبح الحيوان واكتفاء الانسان فى طعامه بما تنبت الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن وأتباعه هم المزدكية .

وقد دخلت المجوسية بلاد العرب قال ابن قتيبة « وكانت المجوسية فى تميم منهم زرارة بن عدس التميمى وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم (١) ومنهم الاقرع بن حابس (٢) كان مجوسيا وأبو سود جد وكيع بن حسان كان مجوسيا » .

---

(١) ندم لان زواج البنت كان من الفواحش عند قريش فى الجاهلية
(٢) أدرك الاسلام فأسلم وله صحبة

وفى تاريخ ابن الاثير قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين فكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوسا وان لقيط تزوج ابنتـه دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسى وقتل وهى زوج له فقال فى ذلك

يا ليت شعرى عنك دختنوس   اذا أتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون أو تميس   لا بل تميس انها عروس

وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخى فى كتابه البدء والتاريخ (كانت المزدكية والمجوسية فى تميم) ومن آثار هذه الديانة فيهم نار الاستسقاء ونار الحلف وحلفهم بالرماد والنار

وأما الزندقة فكانت عند العرب أيضا : قال ابن قتيبة فى كتاب المعارف عند الكلام على أديان العرب فى الجاهلية وكانت الزندقة فى قريش أخذوها عن الحيرة . وقال البلخى فى كتاب البدء والتاريخ كانت الزندقة والتعطيل فى قريش وقال ابن الاثير فى تاريخه وفى أيام قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس خرج مزدك فدعا الناس الى الزندقة فأجابه قباذ الى ذلك ودعا قباذ المنذر بن ماء السماء عامله على الحيرة ونواحيها فامتنع فدعا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملك نجد الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر من مملكته وفى القاموس (الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالاخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أى دين المرأة) وفى اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسى معرب وهو بالفارسية زندكراى يقول بدوام الدهر والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لانه ضيق على نفسه ورد ابن الكمال ماذهب اليه القاموس من انه معرب ذن دين وقال ان زند اسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية ونقل بعضهم عن ابن خلدون انه قال ان زرادشت بن بيورشت الحكيم جاء بكتاب ادعاه وحيا وان كيستاسف وضع هذا الكتاب فى هيكل باصطخر ووكل به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسمى هـذا الكتاب تستاه ثم

فسره زرادشت وسمى تفسيره زند ثم فسر التفسير ثانيا وسماه زنديه فكانت هذه اللفظة أصلا لكلمة زنديق لان العرب عربتها هكذا واختصت فى عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويبطن الكفر والظاهر ان ابن قتيبة يريد بالزندقة احدى الفرق المجوسية من الثنوية أوالمزدكية أو الزرادشتيه بدليل قوله اخذوها عن الحيرة فان الحيرة وان كانت من بلاد الفرس سكانها وملوكها العرب دينهم دين الفرس أو دين المسيح ولو كان مراده من لا يؤمن بالاخرة وبالربوبية لم يكن لاخذهامن الحيرة وجه فان كثيرا من قبائل العرب كانوا كذلك .

﴿ الموحدون من العرب ﴾

كانت العرب قبل البعثة عدا من كان على دين سماوى أو غير سماوى مشركين يعبدون الاصنام الا من أنار الله بصائرهم وهم أفراد قليلون وحدوا الله وعبدوه بما ارتضته عقولهم او بما أخذوه عن الشرائع السابقة ولا تخلى كتابنا من ذكر بعضهم فمنهم (تبع الاول) و(خالد بن سنان العبسى) و(حنظلة بن صفوان) وذكرت خبرهم فى المختلف فى نبوتهم من العرب

ومنهم (زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى) وقدخلص هو وورقة بن نوفل ابن أسد وعبيد الله بن جحش بن ذئاب وعثمان بن الحويرث بن أسد يتناجون فيما حكاه ابن اسحاق وقد اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عندصنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة فقال بعضهم لبعض تصادقوا ولا يكتم بعضكم على بعض قالوا أجل قال تعلموا والله ما قومكم على شىء لقد اخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لانفسكم فانكم والله ما أنتم على شىء فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب واما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق

الاسلام حتى هلك هناك نصرانيا واماعثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنــده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومهفاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الاوثان ونهى عنقتل الموؤدة وقال اعبد ربابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه . وروى البخارى فى صحيحه بسندهقال حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبــد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (١) قبل انينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحى فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفره (٢) فأبى « أى زيد » أن يأ كل منها ثم قال زيد انى لست آ كل ممــا تذبحون على انصابكم ولا آ كل الا ما ذكر اسم الله عليه (٣) وان زيد بن عمرو كان

---

(١) بلدح مكان فى طريق التنعيم ويقال هو واد (٢) تلك رواية البخارى فى المناقب وروايته فى باب ما ذبح على النصب والاصنام فقدم اليه رسول الله سفرة فيها لحم فأبى أن يأ كل منها . وجمع ابن المنــير بينهما بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفرة للنبي فقــدمها لزيد فقال زيد مخاطبا لاولئك القوم ما قال (٣) قال السهيلى فان قيل فالنبى عليه الصلاة والسلام كان أولى من زيد بهذه الفضيلة فالجواب انه ليس فى الحديث انه عليه السلام أكل منها وعلى تقدير ان يكون أ كل فزيد انما كان يفعل ذلك برأى يراه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميتة لا تحريم ماذبح لغــير الله وانما نزل تحريم ذلك فى الاســلام واذا كانت الاشياء قبل ورود الشرع حكمها الاباحة كما يقوله بعض الاصوليين فان كان أ كل فقد فعل أمرا مباحا وان كان لم يأ كل فلا اشكال وان قلنا على ما هو الاصح ان الاشياء قبل ورود الشرع لا توصف بالاباحة ولا بالتحريم فان الذبائح لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم ولم يقدح فى هذا التحليل ما ابتدعوه من الذبح على النصب حتى جاء الاسلام وأنزل الله تعالى (ولا تأ كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما له . قال موسى حدثنى سالم بن عبد الله ولا اعلمه الا تحدث به عن ابن عمر ان زيد ابن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال انى لعلى ان ادين دينكم فاخبرنى فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد لا أفر الا من غضب الله ولا احمل من غضب الله شيئاً أبداً وانى استطيعه فهل تدلنى على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فخرج زيد فلقى عالما من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا وانا أستطيع فهل تدلنى على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم انى أشهد أنى على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحى الموؤدة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول اللهم لو انى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته قال ابن اسحاق وحدثت أن ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم يكن زيد يأكل الميتة ولا الدم وهو القائل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت   له الارض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هى سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب دين ابراهيم سار يسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل لجبال الشام كلها حتى اذا كان بأرض البلقاء أخبره كاهن انتهى اليه علم أهل النصرانية بأنه قد اظل زمان نبى يبعث من بلاد العرب بدين ابراهيم فرجع سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يرثيه

رشدت وانعمت ابن عمرو وانما(١) تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وادراكك الدين الذى قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها تعلل فيها بالكرامة لاهيا

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل فى الالهيات قوله

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم (٢)

(ومنهم قس بن ساعدة الايادى) كان من أقدم من آمن بالبعث من العرب وعمر طويلا وسمعه النبى عليه السلام قبل البعثة بعكاظ يقول فى خطبته ايها الناس اسمعوا وعوا فان وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لن تغور ليل داج وسماء ذات أبراج أقسم قس قسما حتما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ومنهم (سخنة بن خلف الجرهمى) وقدمنا قوله فى لوم عمرو بن لحى على وضع الاوثان حول الكعبة وحمله العرب على عبادتها ومنهم « المتلمس بن أمية

---

(١) رشدت وأنعمت أى رشدت وبالغت فى الرشد كما يقال أمعنت فى النظر وأنعمته (٢) الحتوم الاقضية

الـكنانى) وكان يخطب بفناء الـكعبة ويقول أطيعونى ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم تفردتم بالهة شتى وانى لا اعلم ما الله راض به وان الله رب هـذه الالهة وانه ليحب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب وزعموا أنه على دين بنى تميم ومنهم أجداده عليه السلام كعب بن لؤى وقصى وعبد مناف وهاشم وعبدالمطلب فاما (كعب) فقد كانت العرب تجتمع اليه فى كل يوم جمعة فيحثهم على صلة الارحام وحفظ العهد ومراعاة حق القرابة والتصـدق على الفقراء والاحسان للايتام ويذكرهم بالموت وأهواله وينبئهـم ببعثة رسول من عنـدالله وأما « قصى » فـكان يأمر قومه بتعظيم الحرم وينهاهم عن عبادة الاوثان ويخبر قومه ببعثة نبى ينهى عن عبادة الاصنام (وأما عبـد مناف) فـكان يبغض الاصـنام ويأمر قريشا بتقوى الله وصلة الرحم وأما (هاشم) فـكان يؤدى الحقوق ويحمل ابن السبيل ويجانب عبـادة الاوثان ويؤمن بالله واما (عبد المطلب بن هاشم) فقدمنا ايمانه بالبعث وتوحيده الله ورجوعه اليـه فى قصـة الفيل ومن الموحدين (وكيع بن سلمة بن زهير بن أياد) وكانت له ولاية أمر البيت بعـد جرهم وبنى صرحا بأسفل مكة وجعـل فيه أمـة يقال لها حزورة وبها سميت حزورة مكة وجعـل فى الصرح سلما فـكان يرقاه ليخلو بنفسه ويتفـكر فى ملـكوت السموات والارض والعرب يعـدونه من الصـديقين ومن أقواله مرضعة أوفاطمـة ووادعة أوقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الـكلم. ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من فى الارض عبيـد لمن فى السماء هلـكت جرهم وربلت اياد وكذلك الصـلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ايادا فقال لهم أسمعوا وصيتى الـكلام كلمتان والامر بعـد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة . ولما مات نعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادى

ونحن أياد عبيـد الالـــه ورهط مناجيه فى سلم
ونحن ولاة حجاب العتيــق زمان النخاع على جرهم (١)

(١) هلك من جرهم بداء النخاع ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشبان

ومنهم (قيس بن نشبة) قال فيه ابن سيدة فى المخصص كان منجما متفلسفا واعدا ببعثة الرسول فلما بعث عليه الصلاة والسلام أتاه فقال يا محمد ما كحلة فقال السماء فقال وما محلة فقال الارض فآمن به وقال لا يعرف هـذا الا نبي وقال حين آمن

تابعت دين محـمـد ورضيته   كل الرضا لامانـتى ولدينى
ما زلت آمله وأرقب وقتـه   والله قـدر أنه يهـدينى .

ومنهم (عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة) وروى له الشهرستانى فى الملل قوله

أدعوك يا ربى بمـا أنت أهله   دعاء غريق قد تشبث بالعصم
لانك أهل الحمد والخير كله   وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت القديم الاول الماجد الذى   تبدأت خلق الناس فى أكتم العدم
وأنت الذى أحللتنى غيب ظلمة   الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم

ومنهم (علاف بن شهاب التميمى) القائل فى الايمان بالله ويوم الدين

وعلمت أن الله جاز عبـده   يوم الحساب باحسن الاعمال

ومنهم زهير بن أبى سلمى وقد اعترف بوجود الله واثبت له الحياة والعلم والقـدرة وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكتابة الاعمال مما جاءت به الحنيفية فى قوله

فلا تـكتمن الله ما فى نفوسكم   ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر   ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومنهم (عبدالله بن تغلب بن وبرة بن قضاعة) وكان ينهج فى ديانته منهج الحنيفية ومنهم عبيد بن الابرص الاسدى القائل

ولتأتين قبلى قرون جمـة   ترعى مخارم أيكة ولدودا
فالشمس طالعة وليـل كاسف   والنجم يجرى انحسا وسعودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما   الا الاله ووجهـه المعبودا

ومنهم (عامر بن الظرب العدوانى) وقدمنا قوله فى البعث ومنهم (سيف بن ذى يزن) وقد بشر عبد المطلب بن هاشم ببعثته عليه الصلاة والسلام . ومنهم (أبو قيس

صرمة بن أبي أنس) قال ابن قتيبة وهو من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وفارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لايدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام أسلم وحسن اسلامه وقال فى الجاهلية

سبحوا الله شرق كل صباح　　طلعت شمسه وكل هلال

يابنى الارحام لاتقطعوها　　وصلوها قصيرة من طوال

ومنهم (أمية بن أبي الصلت الثقفى) فقد حدث الزبير بن بكار عن عمه ان أمية نظر فى الجاهلية الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدا وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعا فى النبوة لانه علم ببعثة نبي من العرب وكان يرجو أن يكونه فلما بعث عليه السلام حسده وقال فيه النبي عليه السلام ، آمن شعره وكفر قلبه ، ومنهم (النابغة الجعدى حسان بن قيس بن عبد الله) شاعر قديم مفلق طويل البقاء فى الجاهلية والاسلام ، وأنكر فى الجاهلية الخمر وهجر الاوثان والازلام وقال فى الجاهلية قصيدته التى أولها :

الحمد لله لا شريك له　　من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لعواقبها ولما جاء الاسلام وفد على النبى وأسلم فحسن اسلامه

﴿ اليهودية ﴾

اليهودية هى الشريعة المنزلة على موسى الكليم عليه السلام نسبة الى يهوذا أحد اسباط اسرائيل الذى تناسل منه أكثر الملوك ونشأت هذه الديانة فى مصر ولما لم يؤمن بها فرعون وقومه خرج موسى وبنو اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وضرب بعصاه البحر فانشق فجاوزه موسى وأغرق فرعون وجيشه فوصلوا جبل طورسينا بعد خمسة وأربعين يوما من خروجهم من مصر ثم انتقلت اليهودية الى الاراضى المقدسة ومنها الى بلاد العرب وكان دخولها

اليها زمن موسى على ما رواه ابن زبالة بسنده عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا فى البلاد فسكنوا مكة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطىء الشام أو بعث اليها بعثا فأهلك من بها من الكنعانيين ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم الا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلوهم حتى انتهوا الى ملكهم الارقم بن أبى الارقم فقتلوه وأصابوا ابنا له وكان شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح وقالوا لم نستبق منهم الا هذا الفتى فانا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا فقال الجيش ما بلد اذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذى خرجتم منه وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق . وفى الروض الانف عن أبى الفرج الاصبهانى ان السبب فى كون اليهود بالمدينة وهى وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكر نحو ما تقدم ثم قال ولا أحسب هذا صحيحا لبعد عمر موسى عليه السلام وذكر الطبرى ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين وطىء بختنصر بلادهم بالشأم وخرب بيت المقدس وذكر صاحب كتاب وفا الوفا اليهود الذين نزلوا المدينة فمنهم قريظة والنضير والنحام وهدل . وفى خطط المقريزى ان العرب تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا بيثرب من عهد شمويل نبى بنى اسرائيل وهو صمويل المتوفى سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد وفى كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى « وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب

الى بنى هرون وفى دينهم ألا يزوجوا النصارى نخافوه وأنعموا له وسألوه ان يشرفهم باتيانه اليهم فأتاهم فغتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشأم خرج قريظة والنضير وهدل هاربين من الشأم يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم فى طلبهم فاعجزوا رسله »

أما الذى ادخل اليهودية بلاد اليمن فهو تبع الاصغر أبو كرب تبان اسعد وقدمنا خبر ذلك عند الكلام على المختلف فى نبوتهم من العرب وقيل سبب تهود العرب غير ذلك . ولما خربت أورشليم على عهد طيطوس فى القرن الاول للميلاد نزح كثيرون من اليهود الى بلاد العرب وتوطنوها ونشروا تعاليم دينهم بين العرب واشهر من دان باليهودية من قبائل العرب بنو نمير وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كندة ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم فى تيماء ويثرب وخيبر

ولم تتغلب اليهودية على الوثنية فى بلاد العرب لان كثيراً من احكامها مبنى على المشقة وتلك لا يسلس لها قياد العربي ولانها وان أباحت قتال الوثنيين والقتال دين العربى الا انها لا تبيح الانتفاع بغنائمهم بل تحرقها والعربى انما يقاتل لينتقم من عدوه فى نفسه وينتفع بماله واهله ومن طرق معاشهم الغزو والسلب والنهب وكانت بعض نساء العرب تنذر تهود ابنها ففى الروض الانف (ان جملة من كان من اليهود بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن فى الاوس والخزرج من قد تهود . وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب) وقد ذكر لبيد بن ربيعة صلاة اليهود من قصيدة له يصف رجلا غلب عليه النعاس

يلمس الاحلاس فى منزله   بيديه كاليهودى المصل (١)

---

(١) فاعل يلمس : ضمير المجود فى البيت قبله وهو (ومجود من صبابات الكرى) والمجود الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام و(الاحلاس) جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أى

قال البغدادى فى خزانة الادب « وقوله كاليهودى المصل . قال الطوسي فى شرحه كأنه يهودى يصلى فى جانب يسجد على جبينه هذا كلامه واليهودى يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم اما أن تسجدوا واما أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم »

﴿ النصرانية ﴾

هى دين المسيح بن مريم عليه السلام نسبة للناصرة اول قرية بث فيها عيسى دعوته فقال العرب ناصرى ونصرانى . وكان يقال المسيح الناصرى ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين فقد نقل ان القديس توما أول من دعا اليها فى بلاد اليمن اثناء مسيره الى الهند وان بولس دعا اليها فى الشام فاعتنقها كثير من عرب الشام وفى بعض التواريخ المسيحية ان اوريجانوس فى القرن الثالث للميلاد زار أحد حكام العرب فهدى قبيلة للنصرانية وفى القرن الرابع سار موسى الراهب المصرى الى العرب ودعاهم للنصرانية فتنصرت زوجة حاكمهم المسماة موفية . وفى تاريخ القرون الوسطى إن عرب غسان تنصروا فى أيام القيصر والنتين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام ، (يعنى النساك) وقال ابن خلدون كان أهل نجران (هم بنو الحارث بن كعب من مذحج) من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل فى الدين واستقامة أخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له سيمون من بقية اصحاب الحواريين)وكانت العرب تسمى عيسى عليه السلام ابيل الابيلين والابيل « الراهب أو الناسك والزاهد فى الدنيا » وشاهده قول عمرو بن عبد الجن .

أما ودماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما (١)

يطلب الاحلاس بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس (٢) نسر صنم و« المائرات » المترددات من مار الدم على وجه الارض يمور اذا تردد و(قنة العزى) اعلاها و (العندم) البقم ودم الاخوين

وما سبح الرهبان فى كل ليلة　　أبيل الابيلين المسيح بن مريما (١)
لقد هزمنى عامر يوم لعلع　　حساما اذا ماهز بالكف صمما (٢)

وكان ولدان النصارى يتبركون بالراهب الذى يجئ من بيت المقدس وبمسحه الذى هو لابسه وأخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وشاهده قول امرئ القيس الكندى يصف أدراك كلاب الصيد لفرسه

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا　　كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٣)

وكانت النصرانية تقيم اعيادها فى بلاد العرب فمنها يوم السباسب ويسمونه يوم السعانين . ويقال شمانين وعيد الفصح وهو مايتقدم عليه صوم الاربعين أنشد سيبويه لبعض العرب

صدت كما صد عما لايحل له　　ساقى نصارى قبيل الفصح صوام

وكانوا فى الفصح يوقدون المشاعل قال اوس بن حجر يصف رمحه ويشبه سنانه بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح

عليه كمصباح العزيز يشبه　　بفصح ويحشوه الذبال المفتلا

وقال عدى بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح

بكروا على بسحرة فصبحتهم　　بأناء ذى كرم كقعب الحالب
بزجاجة ملئ اليدين كأنها　　قنديل فصح فى كنيسة راهب

ومن اعيادهم الدنح ذكره ابن سيده فى المخصص عن ابن دريد . وكانت الراهبات تلبس فى الاعياد الملاء والانسجة الطويلة الاذيال . قال امرؤ القيس يصف سربا من بقر الوحش

فآنست سرباً من بعيد كأنه　　رواهب عيد فى ملاء مهدب

ولم تستطع النصرانية أن تتغلب على الوثنية فى بلاد العرب لان تعاليمها تباين اخلاقهم الغريزية فمن من العرب يرضى اذا ضربته على خده

---

(١) سبح أى نزه وسمى الراهب أبيلا لتأبله وبعده عن النساء

(٢) يريد أن عامراً وجده حساما ذلك اليوم و« صمم » . مضى يقال صمم الرجل فى الامر اذا جد فيه . (٣) شبرق جلده أى قطعه .

الاعن ان يدبرلك خده الايسر لتصفعه عليه مرة أخرى بل قلد النصارى العرب فى كثير من أمورهم الدينية فكانوا يحجون ويعتمرون ألا أنهم كانوا يقفون فى الحج فى بطن محسر . وأنشد عليه السلام لما أفاض من عرفة الى مزدلفة وكان فى بطن محسر الذى كان موقف النصارى قول شاعر جاهلى

اليك تعدو قلقاً وضينها   معترضاً فى بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

يشير الى الناقة التى كان راكبها فى مسيره الى الحرم . وكانوا يعظمون الكعبة ووضعوا فيها صورة السيدة مريم وسيدنا عيسى مع ما وضع فيها من صور الملائكة والانبياء كموسى وابراهيم . وكانوا لايذكرون اسم الله على الذبيحة يقلدون فى ذلك مشركى العرب . وخالفوا تعاليم المسيحية فى شنهم الغارات وطلبهم الثارات لان العربى جعل رزقه فى ظل رمحه ولذلك لما قدم عدى بن حاتم الطائى على رسول الله عليه السلام قال له . أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع . فقال عدى . بلى . فقال عليه السلام فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك . فقال أجل . ذلك لان الدين الذى يحرم القتال لا يحل غنائم الحرب . وقد بين عقيدة العرب هذه جابر بن حنى التغلبى النصرانى فى قوله

وقد زعمت بهراء أن رماحنا   رماح نصارى لا تخوض الى دم

وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب ربيعة وبعض قضاعة وكأنهم تلقوها عن الروم فقد كانوا يكثرون التردد الى بلادهم للتجارة والغساسنة بالشام لمجاورتهم نصارى الروم ودان بالنصرانية كثير من بنى تغلب وتنوخ وحمير وطيىء وشاعت النصرانية فى قبائل شتى بالحيرة يقال لهم العباد « بكسر العين وتخفيف الباء » منهم عدى بن زيد العبادى . وتنصر ملوك الحيرة على عهد امرىء القيس الاول ابن عمرو فى أوائل القرن الرابع على قول . وقيل ان أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر فى آخر القرن السادس . وفى سجل الكنيسة الشرقية أن الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ميلادية وأن ملكها

حمى النصرانية سنة «٤٢٠» ميلادية . وقيل أن ملوك الحيرة كانوا فى أواسط القرن السادس وثنيين وأن المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من بنى آدم الى العزى وكان من بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند كانت مسيحية فبثت مبادىء النصرانية فى ابنها فنشأ نصرانياً . ويستظهر بعضهم أن النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور . فلما مات عاد خليفته المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان وثنياً حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع او على يد عدى بن زيد العبادى كما يقول مؤرخو العرب . وكان نصارى العرب يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح كاعتقاد اتباع يعقوب البرادعى اسقف اورفا سنة ٩٧٨ وهم اليعقوبيون ونسب هذا المذهب ليعقوب لانه قال به بعد ان كاد يندثر والا فقد سبقه بالقول بالطبيعة الواحدة ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلو وغيرهم من القائلين بأن طبيعتى المسيح قد اتحدتا حتى صارتا طبيعة واحدة . وكانت النصرانية شائعة فى بعض أمكنة من جزيرة العرب وذكر حاتم الطائى شيوعها بين ناب ودارة فى قوله

وانى لمزج للمطى على الوجا ... وما انا من خلانك ابنة عفزرا

ومازلت أسعى بين ناب ودارة ... بلحيان حتى خفت أن اتنصرا

والعجب لصاحب شعراء النصرانية كيف عد حاتما من النصارى مع نقله له قوله خفت أن أتنصر اى خفت الدخول فى دين النصارى وذلك منه كثير فقد عد طرفة بن العبد والمتلمس نصرانيين مع نقله حلف طرفة بالنصب فى قوله

فأقسمت عند النصب انى لهالك ... بمتلفة ليست بغبط ولا خفض

ونقله حلف المتلمس بالانصاب فى قوله فى هجاء عمرو بن هند

اطردتنى حذر الهجاء ولا ... واللّه والانصاب لا تئل

وعد أعشى قيس فى النصارى مع نقله قوله يخاطب ناقته من قصيدة يمدح بها سيدنا رسول اللّه .

وآليت لا أرثى لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم تراحى وتلق من مكارمه يدا

﴿ الاسلام ﴾

كانت العرب فى الجاهلية فى شر حال من الاضطراب والفوضى سواء فى ذلك نظام الحكومة أو سياسة البيت أو غيرهما فكانت النفوس فى كل حين عرضة للسفك والأموال فى كل وقت معرضة للسلب والنهب لأنهم كانوا شعوبا وقبائل تغلى صدورهم بالاحقاد وكل قبيلة اما مقاتلة أو لقتال غيرها على قدم الاستمداد أخذاً بثأر مقتول عمداً أو خطأ او لهفوة لم يتناولها الصفح ولم يغفرها العفو وكانوا يورثون ابناءهم الاحقاد وناهيك بحرب داحس والغبراء التى لم تضع أوزارها الا بعد اربعين سنة وسببها أهون من أن يرى فيه سهم عن كبد قوس او يجرد فيه حسام من غمد وكان الصعاليك المدلون بقوتهم يؤلفون عصابات للغارة على المراعى لسلب الانعام ورعاتها او على الاحياء اذا علموا أن المخلفين بها من الرجال لايقدرون على الدفاع عن أنفسهم لنهب مابها من الاموال وأسر النساء والولدان والرجال وكان أسر النساء يجيز الاستمتاع بهن ولو كن ذوات أزواج أما الاسرى من الرجال فكانوا يكبلون بالسلاسل والاغلال وجزاؤهم القتل او الفداء وكم قتلوا من رجال وولدان او استذلوهم او باعوهم أرقاء وكان الفتى المدل بقوته او بمنعة عشيرته يرى الفتاة فيصبيه حسنها فيختطفها من أبيها او أخيها او غيرهما ولو كانت فى مدينة آهلة بالسكان بلا حياء ولاخجل كانما يفعل امراً معروفاً غير منكر ومثل هذه الحادثة كان سبباً فى حلف الفضول وناهيك بقوم بلغ من اعتدائهم على المرأة انهم كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء يبتغون عرض الحياة الدنيا

ولم يكن عندهم قانون للقصاص يمنع البغى ويقف فى سبيل الظلم بل كان اولياء الدم يقيمون على الخسف ان كانوا ضعفاء انتهازاً لسنوح الفرصة للاخذ بثارهم غدراً وان كانوا أقوياء اسرفوا فى القتل فربما قتلوا بظنة واحد العدد المديد وا لجماء الغفير قال شاعرهم .

قتلنا سبعة بأبى لبينى ... وألحقنا الموالى بالصميم (١)

حتى قال مهلهل بن ربيعة وهو يثأر لاخيه كليب لبجير بن الحارث بن عباد وهو يقتله وكان غلاماً بؤ بشسع نعل كليب فقال له بجير ان رضيت بذلك بنو ضبيعة بن قيس رضيت فلما بلغ الحارث مقتله ولم يكن دخل فى حربهم قال نعم الغلام غلام اصلح بين ابنى وائل وباء بكليب فأبلغوه قول مهلهل اذ قتله فغضب وأدخل يده فى الحرب وقال

قربا مربط النعامة منى ... لقحت حرب وائل عن حيال (٢)
لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ... ط كليب تزاجروا عن ضلال
قربا مربط النعامة منى ... ان قتل الغلام بالشسع غالى
لم أكن من جناتها علم الله ... وانى بحرها اليوم صالى

أما سياستهم للبيت فكانت أشد خرقاً وآلم جرحاً وناهيك بقوم يدفنون بناتهم احياء خشية الفقر أو توهم العار ولقد بلغت القسوة بأحدهم أن ولدت امرأته فى غيبته بنتاً فخبأتها عند احد أقاربها لئلا تفتك بها يد القسوة حتى اذا ترعرعت واصبح مثلها قرة عين والدها وظنت انها قد أمنت قسوة ابيها وعدوانه وان عاطفة الابوة تحول بينه وبين وأدها احضرتها من مكانها وقد زينتها وقدمتها لابيها فسألها عنها فأخبرته خبرها فسكت منتهزاً فرصة غفلة أمها حتى اذا سنحت أخذ الفتاة لخفر لها حفرة ودفنها فيها حية وهى تمسح التراب عن لحيته وتقول ما الذى تفعله بى يا أبتى ذلك صنعهم بالبنات وهن برد الاكباد ومسرة الفؤاد

ولم يكن صنع بعضهم بالشيوخ والعجزة بأقل قسوة من ذلك فقد روى عنهم انهم كانوا اذا تبرموا بشيخ تركوه وارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو حملوه على بعير نفور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وجاء فى امثالهم (أهون هالك

---

(١) أى قتلنا ساداتهم فصار الموالى سادة (٢) النعامة اسم فرس الشاعر و(لقحت) حملت و (الحيال) ان تضرب الناقة فلا تحمل وضرب به مثلا لما تولد عن الحرب وانتج منها من الامور التى لم تكن تحتسب بعد ذلك

شيخ يقادبه البعير) وقولهم (أهون هالك عجوز فى سنة جدب) نعم لم يكن هذا العمل عاما فيهم

أما حالة العرب الدينية فمما قدمناه فى هذا الكتاب تعلم ان الدهماء منهم قد انغمسوا فى عبادة الاوثان واتخذوا آلهة شتى ووصل من انحطاطهم فى احكام العقل أن اتخذوا الهاً من حيس فلما جاعوا أكلوه وصاروا يتعرفون الخير والشر من أمور دنياهم بالاستقسام بالازلام لا بما فيها من نفع وضرر وكانوا على بقية من دين ابراهيم خلطوها بالوثنية خلطا غير محاسنها وطمس معالمها فأهلوا فى الحج للاصنام وأشركوها فى التلبية وجعلوا صلاتهم عند البيت الحرام وهى التى شرعها الله فى دين ابراهيم خالصة لله وخضوعاً له مكاء وتصدية (١) ولم تكن اليهودية ولا النصرانية عندهم خيرا من اختهما الحنيفية . أما اليهودية فقد عبثت بها أيدى الاحبار يحرفون فيها الكلم عن مواضعه فغيروا كثيراً من الاحكام التى شرعها الله بالحيل التى استحلوها والاهواء التى ابتدعوها ومالوا للتشبيه وغلت فرقة منهم فيه فقالوا عزير ابن الله وتأولوا التوراة بالرأى والهوى واخبروا ان تأويلهم من عند الله ولقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا) ومنهم من وقف عند الفاظ التوراة دون أن يبين معانيها ويشرح المراد منها وهم الذين وصفهم القرآن بقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين). أما النصرانية فقد انحطت فى بلاد العرب الى درك الوثنية فكانوا يتركون ذكر اسم الله عمدا على

---

(١) مكا الرجل يمكو اذا جمع بين يديه وصفر فيهما و(التصدية) التصفيق قال ابن عطيه والذى مر بى من أثر العرب فى غير ماديوان ان المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب به وكان مخرمة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفقون ويصفرون

الذبيحة مجاراة للمشركين واتخذوا فى كنائسهم الاصنام اما لانهم لم يتجردوا من الوثنية وأما لترغيب الوثنيين فى المسيحية كما اتخذوا الصنم كعيباً فى كنيسة القليس وكانت تعاليم المسيحية لا تناسب اخلاق العربى الطامح بطبيعته الى الفخر والخيلاء والسفك لا يعرف القعود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذين وصفع الصافعين فنبذ أوامرها اكثرهم حتى لم يبق لهم من المسيحية الا اسمها ولا من النصرانية الا وسمها • نبـذوا على اختلاف اديانهم الاوامر الالهية فأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وعدوا شرب الخمور ولعب الميسر من مفاخرهم التى يفاخرون بها

هذا حال العرب أما غيرهم من الامم في ذلك العصر فلم يكونوا أحسن حالا منهم فكان من رحمة الله بالعالم ان يرسل اليه رسولا يخرج الناس من الظلمات الى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام بدين الاسلام • جاء الاسلام ينشر لواء السلام ويضع الدعائم الثابتة لنظام الاجتماع ويزيل الأثرة من النفوس ويفهم كل فرد انه جزء من جماعة لا يصلح الا بصلاحها ولا تصلح الا بصلاحه (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) سوى بين الناس في القصاص ووضع من الحدود ما يكفل سعادة كل انسان ويصونه من غائلة غيره وبين ما يجب على كل فرد اداؤه والقيام به من الواجبات التى فيها صلاحه وحياة المجتمع وبث فى النفوس روح العطف والرفق والتسامح حتى فى أحوال الخلاف فى الدين والعقيدة قال تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) صان الاسلام حقوق المرأة ونهض بها الى أوج لم تصل اليه فى أمة من الامم ولا فى شريعة من الشرائع فاعاد لها حقها المسلوب وجعـل لها وحدها حق التصرف فى مالها ونفسها وسوى بينها وبين الرجل فى التكاليف وغيرها ولم يميز الرجل عنها الا فى الاحكام التى لا يقدر عليها اكثر افراد جنسها كالجهاد أو لامر اقتضى تمييزه عنها . والمتصدى لمعرفة ذلك يراه مفصلا فى الكتب التي تبين اسرار التشريع • نهى الاسلام عن كراهة البنات وعد وأدهن أمرا إداً فقال (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) وقال واذا بشر احدهم بالانثى

ظل وجهه مسودا وهو كظيم

كثيرا ما وصى النبي الكريم بالمرأة ودعا الرجال للرفق بها والاحسان اليها . احاط الاسلام الرق بسياج يحميه من عبث العابثين وسلب السالبين فلم يضرب الرق الا على الاسير الذى حارب المسلمين للايقاع بهم والاذلال بدينهم ثم طفق الشارع الحكيم يدعو الي عتق الارقاء بمختلف الوسائل حتي جعله قربة القرب وكفارة تطهر بها النفوس وتغسل بها أدران الذنوب فجعل العتق واجبا في كفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير ذلك مرضاة لله تعالى فقال عليه السلام ايما مؤمن اعتق مؤمنا في الدنيا اعتق الله تعالى بكل عضو منه عضوا منه من النار . سوى الاسلام بين الناس في الحقوق فلم يميز جنسا من الاجناس البشرية على آخر وضرب على أيدي الامراء والرؤساء ليرفعوا عن رءوس العامة عصا الاستبداد وينزعوا من اعناقهم غل الاستعباد وقضى على التعاليم التي ابتدعها رؤساء الاديان من وجود الوساطة بين العبد وربه فاجتث بذلك أصلا من أكبر أصول الوثنية . فلقد كان يتوسل لذلك الوسيط بأنواع التعظيم ويعت له بضروب التكريم مما لا يليق الا بالخالق الحكيم أمر كل واحد بالاجتهاد والعمل بما يصل اليه اجتهاده فيما لم ينزل فيه حكم بين ولا نص صريح فلم يجعل الدين بذلك بعيد التناول علي احد ومقصورا على طائفة تطاع فيما تدعيه دينا من غير تبصر ولا تفكير * نبه العقل من نومه واحترمه وامر بالنظر والتفكر فمزق بذلك حجب الاوهام التي اسدلها رؤساء الدين علي اهله اذ زعموا ان الدين عدو العقل وما يثمره العقل الا ما كان تفسيرا لكتاب منزل * جعل الاخلاق مصدر حياة الامم والسر في بقائها قال تعالي (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) نهى عن الكسل والخمول والمسكنة التي زعمها رؤساء الدين من الدين فأمر بالعمل كل قادر عليه وأباح لكل انسان ان يتمتع بما شاء من الطيبات (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) حث على التعليم ورغب فيه ودعا لارشاد العامة

الى الصراط المستقيم والطريق القويم قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . أمر الاغنياء ان يجعلوا من اموالهم حقا معلوما للفقراء تطييبا لنفوسهم وسدا لعوزهم وعطفا على ابناء جنسهم ليستأصل من نفوس الفقراء الحسد والضغينة على الاغنياء . لم يترك الاسلام فضيلة من الفضائل الا أمر بها ولا سنة من سنن الترقي والاصلاح الا قررها ولا رزيلة يعود وبالها على المجتمع الا نهى عنها وقبحها . اعاد الاسلام للحنيفية شبابها وجدد عهدها وجردها من الوثنية التي أبلت محاسنها وغيرت معالمها فالاسلام دين ابراهيم حكي ذلك القرآن فى غير ما آية فقال (ان ابراهيم كان قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على النـاس) والآيات فى ذلك كثيرة ولذلك قال ابن حزم (وكان الذى ينتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الارض الى ان أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليله بدين الاسلام الذى نحن عليه الآن وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التى أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) ومعنى مجيء الاسلام بالحنيفية دين ابراهيم دون اليهودية أو النصرانية مع ان أصول الشرائع من حيث الالهيات وتحريم المتحقق ضرره وتقرير أمهات مكارم الاخلاق واحدة أن الاسلام قرر الاحكام والعبادات التى شرعت فى دين ابراهيم بعد أن جردها من الوثنية التى الصقت بها وهذا سر ما تراه من موافقة الاسلام للاحكام التى كان العرب عليها وذكرناها مفصلة فى هـذا الكتاب . لم يقف الاسلام عند ما شرع فى دين ابراهيم بل زاد كثيرا من الاحكام التى

اقتضاها الزمان فانقذ الاحوال الاجتماعية من براثن الفوضي التى فتكت بها أيام الجاهلية وأصبح الاسلام بنظامه الدقيق المحكم صالحا لكل زمان ولكل أمة لايزيده رقي العقول فى المدنيــة إلا ثباتا ولا تنمو العلوم الاجتماعيــة والكونية الا لتضم برهانا بعد برهان على سداده ولطيف حكمته . كيف لايكون كذلك وهو الدين الخالد التالد الذى أراد الله أن يتعبد به الخلق الي قيام الساعة قال تعالى (ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما)

وكان الفراغ من تأليفه وتهذيبه وترتيبه صباح يوم الجمعة رابع شهر رمضان المعظم سنة ثلثمائة واحدى وأربعين بعد الالف من الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

﴿ فهرست الكتاب ﴾

﴿ تابع الفهرست ﴾

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب	صحيفه	سطر	الخطا	الصواب
١١	١٠	رقولى	وقولى	١٢٥	٢١	الجرة	الجهرة
١٢	٦	فاقرىء	فاقرئى	١٢٩	٣	ملؤا	ملئوا
١٣	٢٤	الاثف	الانف	١٣٠	٢١	ركان	وكان
٣٠	٢٢	المثقى	المتقى	١٣١	١٧	يفقؤن	يفقئون
٣٧	٦	يأمروا	يؤمروا	١٣١	١٨	ققؤا	فقئوا
٣٧	١٢	طي	طيّ	١٣٢	٤	٨١ ٢	٢٠٨١
٣٩	١١	بغناء	بفناء	١٣٦	٢٥	اسكان	واسكان
٤٧	١٧	يجمع	بجمع	١٣٩	٢٣	بصفة	بصيغة
٥٨	١	الارد	الازد	١٤١	١٤	الضيزن	الضيزن
٦١	١١	مزلفة	مزدلفة	١٤١	٢٠	عبعب	عبعب
٦٦	١٣	انقرضوا	انقرضوا	١٤٤	١٠	ولا يعوق	يعوق
٦٧	٢٣	ككشف	ككتف	١٤٦	٩	حوله	حول عوض
٧٠	١٦	بن	ابن	١٥٢	٢٢	سميت	سمت
٧٩	١٠	بالفطر	بالقطر	١٥٤	١٣	هابيل	هابيل
٧٩	١٠	جناءهم	جنابهم	١٥٥	١٦	موندا	موتدا
٨٩	٢٢	المحتار	المختار	١٥٦	١٦	بأسم	باسم
٩١	٢٢	الزوح	الزوج	١٧٦	٤	البطليموسى	البطليوسى
٩٧	٧:١١	موتة	مؤتة	١٧٨	١	نستحلف	تستحلف
١٠٣	٥	لاعقر	لاعقر ف	١٨٣	٤	تخاف	يخاف
١٠٥	٢٤	وأحذ	وأخذ	١٨٣	٥	يحالفت	تحالفت
١١٣	٤	وفى	وافى	١٨٦	١٣	للعبادة	العبادة
١١٦	١٦	المسح	المسخ	١٩١	١٥	ولاملاك	والاملاك
١١٩	٢٥	وحرم	وحرمة	١٩٢	٢٢	ذذ	زن
١٢٢	١٩	السؤد	السؤدد	١٩٧	١٣	وكبع	وكيع
١٢٤	١٢	حبيبهم	حبيبهم	٢٠٤	٥١	النغلبي	التغلبي

مؤلفات مؤلف هذا الكتاب

(١) المرأة العربية فى الجاهلية ـ كتاب تتبع فيه مؤلفه حال المرأة عند العرب فى الجاهلية من المهد الى اللحد فجمع عاداتها وجميع أحوالها وهو نحو ثلثمائة صفحة

(٢) اللباب فى علم الانساب ـ كتاب جمع انساب العرب فى الجاهلية بأحسن ترتيب

(٣) كتاب يبحث عن عادات العرب في الجاهلية فى الحروب وعدتهم لها

(٤) الاحوال المدنية والاجتماعية عند العرب فى الجاهلية

(٥) رسالة فى الكلام على الحديث الموضوع وبيان القواعد التي يعرف بها وضع الحديث والاسباب الداعية اليه

(٦) كشف اللثام عن أشعار العوام ـ رسالة اسهب فيها الكلام على جميع الاوزان التى لم ترد عن العرب من الموشحات والزجل والدوبيت وبحر السلسلة وغيرها وبيان اوزانها

(٧) رسالة فى العلوم الموضوعة لمعرفة الغيب كعلم الرمل والاحكام والزايرجة وغيرها وبيان عدم صحة دلالتها

(٨) علوم العرب فى الجاهلية ـ كتاب جامع لما كان عندهم من علم الاخبار وفن القصص ـ وعلم الريافة ـ وعلمى العروض والقافية ـ والشعر والخطب والوصايا ـ وعلم الالغاز ـ وعلم الفراسة وعلم فراسة اعضاء الانسان ـ وعلم الشامات ـ وعلم الاسارير ـ وعلم الاختلاج ـ وعلم قيافة البشر والاثر ـ وعلم نزول الغيث ـ وعلم تعبير الرؤيا ـ وعلم ايجاد نسل قوى جميل فى اخلاقه وتناسب اعضائه ـ وعلم الكهانة ـ والطرق بالحصى ـ والعرافة ـ وعلم الرمل وعلم النجوم وعلم الطيرة والفأل ـ وعلم الطب والجراحة ـ وفن الولادة والتشريح ـ وعلم البيطرة ـ وعلم الرقى ـ وعلم السحر والطلاسم ـ وعلم الانواء ـ وعلم الفلك ـ وعلم الموسيقى ـ وعلم الحساب وعلم الانساب ـ وعلم تقويم البلدان ـ وعلم الاهتداء فى البرارى وعلم الميراث ـ وعلم ماوراء المادة وعلم ايام العرب ـ وعلم الرمى ـ وعلم الفلاحة وعلم الحيوان ـ وعلم الابل والخيل وهو نحو ثمانمائة صفحة